

الفصل (الثاني)

.. من :

سجل " الخالدين "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ ^(*) عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٠]

- (*) أي : التشاء الحسن -

بسط

هذا التسطير عن امتاز ممن لن يعوّضهم ندب، أو يسلوهم نحيباً ..
- وذاك دليلٌ على ..

أنّ افتقادهم واحداً بعد واحدٍ (دليل) على ألاّ يدوم خليل-

ف... لتبقى إذاً (ولو) هذه الكلمات - صدى عبير الخاطر - (المسطرة) .. من
بعض الوفاء الذي هو " ذاكرة القلب "، وقد تقدّم في : (الجزء الأول) ما يكفي.

كما .. وقد قيل: كيف تعرف وفاء أحد دون أن تُجربّه؟.

.. والجواب: (في كثرة ذكره أحبابه، ووفائه لأخلائه).

هذا الأثر عن أولئك الأحباب...، أما الأعلام فقد يفي عنهم، أو : يوازيهم..

.. ممن ينطبق عليهم قول (د. حسن الهويل) ^(١) :

(إن من المبدعين والفضلاء من تجاوزوا - بعطائهم - بشخصياتهم من
العادية إلى التاريخية ومن الذاتية إلى الموضوعية، والشخصية العلمية والسياسية
والفكرية والأدبية لا يمكن أن تتموضع حتى تكون استثنائية، ومتى دخلت
سدة التموضع خرجت من حساسيتها الذاتية واستقطابيتها الطفولية، وأصبحت
ملكاً للتاريخ، تقف الذاتية منها في حيادية تامة... الخ).

وقيل / .. قد لا يكون (الكبار) بحاجة إلى أن نكتب عنهم، أو نشهد
عليهم، إلا أننا (نحن) بحاجة إلى أن نفعّل ذلك، لنستوثق من قدرتنا ولو تقديراً

(١) - الجزيرة : عدد / ١٠٢٥٨ -

وتبجيلاً، وبأننا ما زلنا أوفياء لمن يستحقوا أضعاف ما نبذل.. مقابل أن نحقق لهم جزء لعشر ما بذلوا (لنا)1..، أي : من إصلاح وتتمية وفضائل نفعياً بظلمها لأن صاحبها :
أثارة تُنبئك عن أخباره كأنك بالعيان تراه
 - و .. قال (البيركامو) :

(الكاتب لا يستطيع اليوم أن يضع نفسه في خدمة أولئك الذين يصنعون التاريخ، وإنما في خدمة أولئك الذين يتعذبون من صنعه، أما في الحالة الأخرى فإنه يجد نفسه واقفاً وحده مسلوباً فته)1-

وكذا.. قال حسن القرشي - رحمه الله - :

هل تَلَفْتَ يَسرةَ وَيَمِيناً وتراثيـت (موكب) الخالدينا^(١)

وهذه اللفظة (خالدين) - نون مشبّعة - وردت في بشري أهل الجنة أنهم ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً ﴾^(٢) النساء:٥٧. أي : في المنزل، وإتمام للمعنى: فد (أبد)^(٣) والأبد هو: الزمانُ والدَّهرُ.

ملاحظة: إن تكرار^(٤) الآيات والأحاديث في معظم (المواد) التالية^(٥) .. هو مما ينطبق عليه تعليل العلامة السعدي عن أن القرآن في قوله : ﴿ مَتَانِي نَشَعْرُهُ جُلُودٌ

(١) وكذا وسم مقبرة (الخالدين) بالقاهرة دلالة.. على أنهم خالدين في الأقدار، وفي ميزان من يقيموا (أهل الصنعة) : حُسن ما تركوا.

(٢) وحروفها أصلية (أ - ب - د) فهي ثلاثية سالمة من التشديد، وسالمة من العجمة إلا الياء - (د. صالح اللحيان)-

(٣) .. ثم أو إتماماً: يُنصب على الظرفية فيقال ما رأيتهُ أبداً أي : قط، لكن كل هذا لما يستقبل من الزمن ويستقبل من : الدهر، ولا يتصرف منه الأفعال لأنه ظرف واقف فلا يقال : بدأت أو بدأ أو أبدي أو أبداً ونحو ذلك، و(أبد) يجمع على (أباد) وجاء في الصحيح في حجة الوداع (أبد الأباد، أو أبداً أبداً).. أو (لأبد الأبد)، وليست لفظة: (قط) مشتقة منه، وإن كانت ظرف زمان لكنها موافقة له في المراد، وتختلف فك عن أبداً وذلك يكون عند المقتضى.

(٤) من جهة - أو فائدة - ثانية، قالوا: ما تكرر تقرر - أي : استقر بالذهن-

(٥) فألفت إلى أنه لا يُقرأ من الكتاب - أي: جزءه الثاني - إلا على أساس أن كل (مادة) منه تم توليفها على حده، أي: مستقلة.

وفاء .. لمن (وفى)

الَّذِينَ يَخِشُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ نَلَّوْا جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٢٣﴾ الزمر ١٢٣ أي : تتشكى به الأخبار ، أي تتكرر - وما تكرر بالذهن استقر -

ولأن المعاني أبلغها في القرآن والسنة ، فلا ضير أبداً ، ولا إثم مطلقاً : في العودة إليها في كل مناسبة ، وإعادة الاستشهاد بها لكل خطاب ، ثم لا يغيب عن فطنة القارئ : أن كل مادة كتبت في ظرفها ، وعلى حدة .. عن الأخرى .

وهذا عذر - عسى ألا يتبعه من القارئ عدل -

وبعد :

.. أستهلُّ هذا (السجل) أو أصدره - إستثناءً - .. عن أعزّ وأغلى مفقود على (القلب) بعد محمد ﷺ .. والدتي - يرحمها الله -

.. ولما لا ، وقد جاء في الحديث - عن أحقّ الناس بالصحة :

{ أُمَّكَ ، ثم أمك ، ثم أمك .. ، ثم أبوك } ، ومن هذا صنف بعض الوعاظ : في تبادل الحقوق بين الجنسين : " أن أعظم حقّ على (الرجل) أمّه ، وأعظم حقّ على (المرأة) زوجها " .

وما قصة " أويس القرني " عنا ببعيدة .. الذي منعه من قدومه على النبي ﷺ بره بأمه ، وهو الذي طلب منه عمر بن الخطاب ؓ أن يستغفر الله له عندما قدم إلى مكة ففعل ، لأنه لو أقسم على الله لأبره كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ .

.. ولأن أتى هذا التأبين (متأخراً) ^(١) - كما هو في عنوان المادة - ، لكن لا تريباً ، أو سبياً : - وإن تطرقت له في ثنايا (المادة) - ، أن أقول :

إن (البر) ^(٢) لا يحتاج إلى تعليل عنه ، بل إن غيابة هو الذي يحتاج بالفعل إلى التعليل ، بل .. والتبرير! - حتى على التقصير به -

(١) أقولها تبعاً من المثل (أن تأتي متأخراً ، خير من أن لا تأتي أبداً) .

(٢) .. وانظري في ثنايا هامش (١) ص ١٢١ .

أُمِّي .. رَأَى مَتَأَخَّر

الحمد لله على آلائه الجمه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة.. وبعد :

تصدير :

كثير^(٢) ما وددت أن أكتب عن أُمِّي - رحمها الله - ، لكتبي كنت أؤثر الإرجاء، بين من يودّ استكمالاً في أبعاد شخصيتها- إذ توفيت ولم أتجاوز العاشرة إلا نزرأً - ، وبين من لم يثق بقدراته - بعد- مهما كانت.. من أن تواتي مقام تلك الشخصية، ويكفي أنها: (الأم).

أي: في التريث على ملكتي كي يُسعفها المداد.. فيمدّني بما يوازي مقامها :
إلهي هَبني بياناً أستعين به على قضاء حقوق (غاب) وافيها^(٣)

أو لتلك التي غابت خلف : عين التي آب النهار (بدونها)..

بل بعد أن غاب معها :

(١) .. ولأن أفردت (أبي) بكتاب، فلا أقل من أنصف أُمِّي - ولو عن مكائنها بقلبي -.. بهذا (المختصر) عن شخصها وروحها لدي، .. فرحمها الله وأبي: ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء ٢٤)، لأنهما بحق: هذان في الدنيا هما الرُحماء!- كما أكدها بعجز بيت (أحمد شوقي)-
و.. صدره - يعني الرسول ﷺ -: وإنا رحمت فأنست أم أو أب.

فأ أكد أنه .. إذا كان قلبي - مجازاً - نصفين، بين أبي وأُمِّي، فلا غرو أن يغار نصف أُمِّي، حين أفردت الأول بـ (كتاباً) كاملاً.. تناول مسيرة والدي / .. ليُفرز النصف الآخر.. ولو بـ (مادة) عنها، وذلك لما أثمرت بي (خاصة).. مع شواهد: ما أثرى لي عنها من خالطوها.. أو من هم حواليتها.
(٢) .. بخاصة (حال) مرور العقد الثالث على رحيلها - عام ١٤٢٥هـ - ، لكن.. ولمشاغلٍ تترى، إنزوت تلك الأُمِّي، حتى استحثّ بعثها مواد كثيرة- وأنظر هامش الصفحة التالية -
(٣) حافظ إبراهيم - في قصيدته بـ (عمر) ﷺ، الموسومة بـ (العُمريّة)-

وأخصّ المعنى هنا: لتلك التي كنت أحسب ما يتوارد لي.. عنها أنه: شأن (شخصي)، .. وكيف يُصير لي أن أبتّ عن بعض خوالجي نحوها - أو قد ظننته من المباهاة: البسط .. عن مثل هذا.. المنحى!!-

وفاء .. لمن (وفى)

ما لا يُعَوِّضُه نَدْبٌ ولا يَسْلُوُه نَحِيبٌ أو لا يداويه طبيبٌ... الخ.
.. بل أَحَسِبُ من ثَنَايا هذا (المؤلفُ) إِحسانه لي بهذا: الحميدُ - فعله -
إذ.. تَجَمَّع على الملكة (رُؤى..) تستنفرها لأكتب - لكم - عنها و(الأسى)
- كما قيل - : يبعثُ على الأسى .

.. ومما استحثتني - أيضاً (مع ما يجيشُ في الخافق) - مواد كثيرة، ممن
كتبوا عن أمهاتهم^(١) .. أن :

أكتب - لكم - عن والدتي لشيء مضمور لها (أو غيرة مما فعلوا)
لأحاكي ذلك عن (أمي) وإن كان متأخراً، إلا أنني أحسن - وقد يشاطرنني معظم
القراء - أن هناك ما ليس له وقتٌ أنيُّ أو.. يُربط بمناسبة. أو له تاريخٌ مُحدد .

فإن الإنسان .. وفي أي وقت ودأن يُعَبَّر به عن والديه - أو أحدهما - لا يُطلب
(فيه) مناسبة، أو داعي يُستدعي (شفاعةً) لقبول صنيعه.

وقد يكون من كرامات هذا (التأخر): صقلاً للملكة .. بأن يكون
إثراؤها عن المؤيّن كافٍ.. كي يستدرك به ما يستحق (ولو) نزرأ لما يوازيه،
بخاصة حال موازنته بالموجود.

(وجنان) يفيض بالود محضاً^(١) وصنيع من كل عاف قريبُ

.. فمهما حاول الكاتب أن يعرض ويستعرض بثقافته عنهما - أو أحدهما -
فلن يبلغ (جزءاً) مما قدّماه له، ويكفي أن الله قرن أحقهما بحقه سبحانه، بقوله

(١) ك : ماده (د. فوزية أبو خالد) : أمي في رمضان، و (حصّة التويجري) كما سيأتي - هامش (٢) ص ١٥٢.

(٢) أي خالص - من كل مصلحة -

تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء: ٢٣) ، وثنى عزَّ ثنائه بهما ، حين أمر: بشكرهما بعد شكره: ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ القمان: ١ لأنهما - بعد الله - سبب وجودك ، حتى ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ (العنكبوت: ٨).

ولما رأى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً من أهل اليمن في الحج حاملاً أمه يطوف بالبيت وسأله الرجل: هل أدبت حقها قال: (لا ، ولا زفرة من زفراتها) (٣) - أثناء الولاده - .
ثم..

أو / لهذا (المؤلف) - وربّي- : من غِصص تكاد تفيض منها نفس الحليم.. من هول (وقع) الفراق ، .. ما جدّنتي إغراءً نشره.. إلى أن أكتب عن طواها "الردى" قبل نمو مداركي.. في معرفة لـ (أبعاد) هذا المتلف للأجنه ، ومثلّم (٣) قلب المفارق -.. والذي لم ألق في حق .. أن أقول فيه :

دعوت الله يا (أمي) بقلب خالص صافٍ
بأن يبقيك لسي دوماً فأنت بلسم شافٍ

فلم تبق- ، .. ولم أجد^(٤) بعد ذلك البلسم الشافى ، والقلب الدافىء والفضاد الوافى.. والزلال الصافى.. الخ.

(١) قال القاضي (أبو السعود) - رحمه الله- ، حول مخاطبة الخليل عليه السلام لأبيه: " ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل ، وأحتج عليه أبداع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل ، لئلا يركب متن المكابرة ، والعتاد ، ثم دعاه إلى أن يتبعه لهديه إلى الحق المبين".

(٢) وسبب هذا - كما قيل - : أن (الأم) تفعل ما تفعل ..وهي فرحة مؤثرة ، وبنفس مشوقة لأموّمتك ، بينما تفعل هذا أو ضائفاً ذرعك بما تصنع ، أو متضجراً!

(٣) التلم : أي الصدع ، والشقّ - وعلاجه (الرأب) .. له -

(٤) حتى قيل (ما بعد الأم ، أحضر وطم) - أي : أكتم الأملك ، وما يجدّ عليك من هموم الدنيا-

من هنا (داعياً) .. ومن ثنياه مستدعياً (الكتابة) عن تلكم: العزيرة
الغالية (أمي) - و(ست) الحبايب بحق - :

" هيلة بنت عبد العزيز بن عبد المحسن المطلق " ١٣٥٧ - ١٣٩٥ هـ "
- رحمها الله رحمة واسعة-^(١).

ف / .. أودُّ أن أُحدِّثكم عنها رحمها الله، .. هل تسمحون؟
.. ولأخاطبها قبل:

" لا تظنِّي - وبعد العقد الثالث^(٢) من غيابك-؛ أنك: غائبة!، إلا عن
(العين)، فأنت في الزوايا والثنايا.. والحنايا التي قد تأن بكل عان: أين أنت؟! "

خيالك في التباعد والتداني وشخصك ليس يبرح من عياني
وشوقك في الجوارح مستكنٌ وذكرك لا يفارقه لساني

لكنه يتلمسك، من خلال ما تركت، وما أثرت، وما به الفؤاد من قبل:
ملئت .

صحيحٌ أني فقدتك قبل أن أبلغ الحلم^(٣) أو.. أو ان بدأت سنين الطفولة
تتقوِّض، ويحل محلها الشباب والتدفق!

لكن لا ضير أن أذكر.. وقد علقت بسني الصاحي^(٤) منك، ما أحسبه
يُجيز لي (الحديث)، أو ما يؤهل ذاكرتي للبت عنك .

(١) المتوفاة تقريباً ختام جماد الأولى ١٣٩٥ هـ.

(٢) وإن كتبت الأخت (حصّة التويجري) أن كيف تُحسن ب (العيد) بدون أمها بعنوان : (العيد بدون
أمي)!

فما الحال لمن آل على مشاعره (كتماً) كل تلك العقود الثلاثة، ب (الحياة) بدون أم!، ولو أن في
نمط هذا التأبين ما يُخالف، لعنونة مادتي - هذه - ب (الحياة بدون أمي).

(٣) ولن أقول (تيمت)، لأن اليتيم: فقد الأب - أنظر في (لسان العرب)-

(٤) فقد توفيت وقد قاربت الثالثة عشر من سني.

واقول: رغم أنني أشحذ عزيمتي لكي أو آفي عما أعلمه - أو أدركه -
عنها، إلا أنني أقرّ أنه (قليل) بحق/

.. من ليس لها في الدنيا: مثل - على الأقل في القلب - .

و.. كما إنني لن أتكلّم عن (الأم) ومقامها بالقلب^(١) ، أو مكانتها بالدين،
فذاك - حسب علمي.. عن جلکم - ما بلغ الاربعة من العلم به، ب (الضرورة) لدى
الغالبية، إن لم يكن الكل.

لكنّي سوف أتحدّث بشيء عن (شخصها)، أو عن شخصيتها مما أعلم
وأذكر.. ومع ما استدرکه بأولى سنّي التي كانت تُظلّله بوجودها، وأدعمه ب:

شهادة ما قيل لي عنها بخصوصة من قاسمها العيش (أبي..)، و من ثمّ زوجته
(جاراتها)، وكذا إخوة.. وأخوات يكبروني سنّاً، أو أقارب عايشوها قبل وحال
مولدي.. عليها شأبيب الرحمة-

(هيله) :

أبدأ .. إيحاءً من قولٍ أثر عن ابن عباس رضي الله عنه : " إن لاسم المرء منه نصيب"^(٢)
.. كما أن (سفينة) رضي الله عنه وهو مولى لأم سلمة رضي الله عنها أهدت للرسول
صلى الله عليه وسلم الذي قال له { إحمل، فإنما أنت سفينة } أي : من معنى .. أو كإسمك.

(١) إذ تطرقت بإيجاز عن هذا، بمادة (الحنان الخالد) - صحيفة الرياض، عدد ١٠٤٤١، في
١٥/رمضان/١٤١٧هـ-

(٢) .. بل منذو طرق مخيلتي هذا القول.. أطرقت أنظر ملياً لأوائم بين الإسم وصاحبه- أو ما بينهما من
رابط- فأجد (في الغالب) أن كلُّ له كفلٌ منه.

.. فهذه الـ (هيله) ^(١) كانت: تهلّ على القلب بوجودها، وتهلّي بالقادم لحلّها، وتهلل بضوئها وضيائها (المعنوي) وروحها وابتسامتها (التي كانت) تُغالبها ^(٢)، .. و: على ما لقي جسدها من آلام وأمراض.. تأكل من داخلها، دون أن يشعر من حولها، أو حتى تُلفتُ لشيء من هذا.. بعض ما تلقى من (عذابات) المرض. أجل، قد لا تختلف في نمطيتها عن الكثير من نظيراتها.. اللاتي كدحن بذاك العهد - والذي سبق انفتاحنا بفضل من أعطى وأجزل ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : على كل مُمهّدٍ للعيش الرغيد،.. وقام على الكثير من أعبائه (جيل) الخادِمات! -

.. لكن ربما اختلفت عن جملتهن (ولو) بنظري، .. لا / لا أني أراها من خلال البِنوة من قبلها!..

بل لأنني عايشة آلاماً كانت تغشاها فتُغشى منها، وأرهقت جسدها الذي ثابر على الصبر والمصابرة ^(٣).. ب: عدم الإبداء عن شيء مما قاسته (مادياً) كان أو معنوياً - ك (حظّها..) وما أسجى على وضعها، رحمها الله -.

-
- (١) وإن كان معناها (الرمال الذي أهيل)، انظر تحليلات عن هذا، في كتاب :
(الكنز الثمين في أسماء البنات والبنين) د/ سلمان العمري، وشريفة المشيقح ..
(٢) .. لأن داء (السكرى).. أرقق جسدها أو أتى عليه، و(أحسبه): عبث بنفسيتها باكراً.
(٣) الصبر هو : (حبس النفس على ما تكرهه)، وهو على أربع درجات :
أ) الصبر الجميل - الذي لا شكوى معه - .. وهو أجلهن منزلة -، كفعل يعقوب عليه السلام:
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ابوسفـ١١٨، ثم :

وفاءً .. لمن (وفى)

حتى.. لقد: كانت .. وكانت .. وكانت^(١) .

ف كانت (الأولى) : (صابرة)، راضية..، تقبل وتُقبل على ما يأتيها بصبرٍ عجيب! فهي تروح وتغدوا، دون أن يعلم جلّ من حولها بحالها.. - حتى أقعدها (جبراً) لا اختياراً: المرض-

.. ولا أماري إن قلت: أن هناك من تفاجأ^(٢) ... بحالها، إذ كانت تُخفي غالب ما يفشاها.

خوفاً على مشاعر أحبائها، سالكة معنى قال به .. " جيمس": (السعيد الحقيقي هو : الذي يُسعد الآخرين) .. ولو في عدم ذكر ما يُلقمهم عنه!

وكانت (الثانية) زوجة ، تقوم بأعباء الحياة - مشاركة - مع زوجها، وآل بيتها، بلا كلل أو ملل أو تضجّر،.. وإن غالب المرض مرآها الظاهري ، فلا

= (ب) الصبر - الاعتيادية في نحوه، وحسبهم أنهم في معية الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣).
(ج) المصابرة - الملازمة والمثابرة على هذا الصنيع، وحث النفس على الاستمرار عليه، كما قال تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

(د) التصبّر - المحاولة...، للحديث: { ومن يتصبر يصبره الله }.
(١) وهذا من (التقسيم)، كما في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهِ وَأَبَا * مَتَعًا لَكُمُ وَلَا تَعْمِكُمْ﴾ (النار: ٣٢-٣٣). فالفاكهة (لكم)، والأبأ (لأنعامكم)، كذا.. نحت عائشة التيمورية:

.. قلبي وعقلي واللسان وخالقي راضي وصابر.. شاكرًا وغفور

وقال آخر :

وفي أربع (منى) حلت منك أربع فما أنا أدري أيها هاج لي كربى
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي أم النطق في سمعي، أم الحب في قلبي!

(٢) وقد ذكر عن أحد الصالحين أنه انكشف لمن حوله عن جرح غائر بقدمه، فعلموا أنه يشتكي منه من أربعين سنة.. ولم يعلم به (أي الجرح) أحد!!

وفاء .. لمن (وفى)

تسمح، ولا تسنح^(١) لغيرها أن يقوم بواجباتها.. ولو على مضيضٍ - أو حتى من باب العون!..-

وكانت (الثالثة) أم...، والأم لا يكفي مدارُ التعبير عن وصفها، وليس قولي بهذا .. لأنني ابنها، بل لأنني باشرت.. أو (وعيت) أشياء لا زالت عالقة بذهني من صنعها، إذ كانت تحضن، وتلاعب، وتداعب، وتلاطف.. و.. و...

رغم الآلام التي لا يحسُّها أقرب قريب.. منها كأبنائها نحن : (الثلاثة): أنا وشقيقتي الكبرى (منيرة) وأصغرنا (فهد).

و.. بعدها :

هل/ تعرفون - لأمي - مثل؟!

قد يقول الكل نعم (أمهاتنا)، فأجيب / أجل، كلُّ أمه لديه كذلك. لكني.. أعني: مَنْ منكم واءم (أمه) بين المرض والمسؤولية والصبر، أو التجمّل والتحمّل .. وأزلفت - بعد كل هذا- بزوجها وأبنائها وآلها - وذويهم .. أيضاً:- (قنطرة)^(٢) الحياة، حتى بلغت بهم ربوة (الاستخلاف) الحقيقي لمقامها؟

.. ومَنْ منكم تكالب على والدته - ولا أتمناه لأحد منكم - .. كل تلك المعاناة والقسوة، فقابلتها بـ التجلّد.. رغم ذلك، لترتقي بحياة من حولها إلى ما

(١) أي : لا تُعطي الغير (فرصة) .. في هذا.

(٢) القنطرة.. آخر مراحل (اليوم الآخر) ، وأقولها هنا: استعارةً لنفس المقصد، من تبعات (الحياة)! .. وثقال هنا من باب التشبيه.

كانت تُمَنِّي به نفسها، حتى أنها.. أو ولكأنها (جادة) ^(١) بنفسها ليصل على أكتاف صحتها وصبرها وتضحياتها.. كل: من حولها، بدءاً ببنيها - وأنا.. أولهم -، وانتهاءً بأقارب، فلا تدخر نفسها عن معروف أو مروءة تبيدها، ولا غرو في هذا..

قال أحد الأعلام:

(مضى لنا سلف أهل تواصل، كانوا يرون أصطناع المعروف عليهم فرضاً)، وأبلغ من هذا حديث: { من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته } فهل هناك شرف يُداني هذه المرتبة!، أو رجاء أبلغ من هذا : أن يكون الله (جل وعلا وعزّ جاهه) في حاجتك.

فما عوّض هذا (الزهد) عن هذا المقام .. لدى وآهني الهمم ^(٢)!!

بل.. جاوز صنيعها إلى من لهم عليها حُرمة (الحجاب) من آل زوجها.

إذ: .. حدّثني عنها أحد الأقارب - من غير المحارم لها - أنّه وحين أتى من بلدته إلى الرياض، وكان يقطن في "بيت الشيخ" ^(٣) (أبي)، بحثاً عن قبول بالجامعة، أنها : ومن وراء الحجاب تتلطف معه .. كأخذ ملبسه لغسلها، أو تسأله عما يحتاجه، وما ينقصه!؟

بل ولا تحاول مطلقاً إظهار صنعها هذا.. أنه معروفاً منها تستحق الشكر عليه!

بل بكل عفوية.. وأريحية واستحسان من نفسها وجمال روحها، ما يظهر له منها تلقائياً في فعلها ذلك.

(١) .. وأذكر مقولة الإمام أحمد - عن " أحمد بن نصر الخزاعي " - (ما أسخاه، إذ جاد بنفسه)!

والجود بالنفس غاية : الجود! - كما قيل -

(٢) وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم : { إن لله عز وجل خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفرع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الأمنون من عذاب الله } . المعجم الكبير للطبراني ٢٠٥٨/١٢.

(٣) وهذا المسمى المعهود - لبيت وألدي ، لدى الأقارب -

ثم .. مَنْ مِنْكُمْ أُمَّهَ كَأُمِّي، فِي : جمال نفسها، فهي ذات سماحة لا تجد مثلاً تقرب بها^(١)، فلا يمكن أن تقول (شيئاً): بفلانة، أو تشكو أو تضجر من أعباء علانه! .. أو الخ!- مما هو معهود.. في بعض الأسر الكبرى (عدداً)-
.. واني - بعد- لأحسبها .. من: ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ (الزمر: ٢٢) .

فهي ذات رُوح جميلة ، لا أدعي أنها ملاك، وإن كانت بنظري أجل..
- وأجمل ملاك -، وأهتبل إلى الله وأرجي لها، ما جاء في الصحيح عن سيد الخلق، وإمام الحكماء وخير المرسلين ﷺ قوله : {إن أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ} ، وأن تنال - تلقاء معامدٍ بشخصيتها-، بشرى الحديث: {يبلغ المرء بحسن خلقه درجة الصائم القائم} رواه أبو داود.

وما أثر عنها كهذا وغيره - الكثير من (المحامد) التي نحسبها - بإذن الله:-
مما كسبت^(٢) .

خالدُ (أثرها) :

وإن أنسى ف/ لا أنسى لها.. ظهريات - ذلك العهد-، وحين كان يُبَيِّتَ عبر الأثير من إذاعة القرآن الكريم بصوت الراحل الجليل وإمام الحرم : الشيخ (عبدالله بن عبد الغني خياط)^(٣) - رحمه الله- بطريقة تلاوته المعهودة، وصوته المتميز، فلا تقوّت - رحمها الله -

(١) .. أليس (المثل) يُضرب للتقريب - وأبين لي من يُحاكيها -

(٢) لقوله تعالى ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) وفي هذه الآية إيماء على أن (فطرة) الإنسان في الأصل : فعل الخير.. تلقائياً، ما لم يخالف تلك (الفطرة) صوارفاً عنها .

(٣) انظر عنه كتابه (لمحات من الماضي) - واصدق السير ما كان يخط المترجم له أو إملائه-

وفاءً .. لمن (وفى)

تلك السجية .. بخاصة وهي تقوم بمناشط منزلها.. وقلبي يصغي لآيات الله، فتتمتم خلقه .. بما تحفظ منها.

وإني لأحسب فعلها هذا.. موازٍ - في تعليمنا الذي عهدناه منها - لما طرقته: (د. فوزية .. أبو خالد)^(١)، بقولها عن أمها :

" كانت في ختمة القرآن ضئيلة بوقتها أنانية في منافستها بينها وبين نفسها، فكانت لا تبدد وقتها لتأمر أياً منّا بذلك؛ لأنها - على ما يبدو - كانت تؤثر : التعليم بالممارسة أو بالمشاركة أو بالعدوى، وربما تُعلم بسليقة نقية الرمز.. الذي تمثله أفعال الأم وليس فقط نصائحها أو مواعظها، فهي بطبعها لا تميل للوعظ، .. ويقدر ما عرفت أمي قديرة مُحَمَّمة في الإقناع بقدر ما عرفتُها ضعيفة في الوعظ .. الخ"^(٢)

وكم لها - يرحمها الله - من مشاهد لم تُفارق ذهني الواعي.

إذ كان بها (شهامه)^(٣) قلماً تلفاها، وحُسن معاشرة نادرة النظير .. ظاهرة

الصنيع مع ضرائرها - بخاصة -.

.. حدتني أحدهن - من مقام الأمهات - :

أنها كانت وهي (جارتها)، تُبَّهها إلى كثير مما تحتاجه، بل غالباً ما تبتدرها

إلى التذكير بما قد يُقابل خلطتها في بيت الأسرة (الكبير)، نافلة من تجربتها!

(١) والتي .. سطر بنانها ملاحم عن أمها.. أكاد أقف مذهولاً أمام شخصية تلك الأم! - وأحسب لها هذا

التعبير: من نمط تربية أمها، رحمها الله -

(٢) .. من مقالات لها - في عدددين بالجزيرة/ رمضان ١٤٢٧هـ -

(٣) .. أوثر ترك ذكر (المثال)، لعلمي أنها: لم تتصنعه بفعلها، أو ليقال أن هذا من فعلها، وأيضاً لما

أعدّه الله من فضل لمن يوافق قول الشاعر:

وأفضل الناس ما بين الوري شهْمُ
تُقضى على يديه للناس حاجات

وفاء .. لمن (وفى)

- أجل، .. وأحسبه فيها قول (د. أحمد التويجري):

ويا (طيبة) من ذا رأى قبل طيبةً تسيرُ على أقدامها.. وتهيمُ-

.. أما حنانها ودلالها علينا، فصداه لا يُنسى! من قبلي - وبخاصة مفردة:

(يا جناني) التي لا .. ولم أنساها في دلها علي-

ولأن قيل : (أبناؤنا فلذات أكبادنا) - والتي نظمها (حطان بن المعلّى) :

إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

لوهبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض-

فقد كنا عندها أغلى.. من فلذت الكبد، بل والقلب، والروح، فذ:

رعى الله أياماً بظل جنابها سرقت بها في غفلة (البيّن) لذتي^(١)

و.. لا أغالي عتاً - أي : نحن : أبناؤها- في وصفنا بهذا.. عند أمي.

.. أما ما أودُّ أن أوليه خاتمةً حديثي : زُهدها، أو مما يوافقها: مثاله.. فلا

يعدوه - بعض ما تقدّم ص ١٠٨- من قول "ضرار الصدائي" رحمه الله في علي بن

أبي طالب ﷺ :

" .. أشهد الله، لقد رأيتَه في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت

نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي

بكاء الحزين، ويقول : يا دُنيا، غرّي غيري، ألي تعرّضت، أم إليّ تشوّقت؟

(١) كما يقول ابن (الفارض).

هيهات هيهات! قد باينتك - طلقتك - ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، .. الخ".

.. أجل لقد كانت كذلك، وبالتالي فليس حزني عليها يوازيه حُزن (من دُبِح واحدها في حجرها).

.. وما وجدت حالي .. أن غروبها إلا مُعيداً قول (مهيار الديلمي) ^(١) عن قلبه:

وسرنا جميعاً وراء الحمول ولكنني رجعت ولم يرجع
فأنته لك بين القلوب إذا اشتبهت أنه الموجه
وشكوى تدل على سقمه .. فإن أنت لم تُبصري فاسمعي

ولا أود أن أسهب حيالها..، بخاصة عن (هذا)، لأن الكلمات.. فيها، وإن انتقيت جليلها، أو وقعت على بليغها.. فلن أبلغ معشار ما أرنوا، بل:

(ولا العُشير، ولا عُشراً من العُشر)!

.. ولأن خالط (ثايا) هذه : الشهادة ^(٢) في حقها بعض عاطفة ^(٣) ابن بوالدته!

إذ .. قد يُردّ علي (أني: لم أعقل إبان حياتها - .. القصيرة ^(٤)) - عدى بعضاً .. مما أدليت أو شيء مما استدركت) .. لكن يكيفه (شافعاً) في:

شهادة الكثير ممن حدّثني عنها.

(١) وإن كان يعني حبيبته - فالمعنى واحدٌ .. في تقديري-، و (الحمول) في البيت الأول: أي تلك التي شيعتها لثواها.

(٢) للحديث : { أنتم شهود الله في أرضه }.

(٣) .. ولا أزكي نفسي - أو أنفي شيء من دافع هذا - ، فالإنسان مكوّن من : عقل و(عاطفة) وجسد وروح.

(٤) .. إذ لم تتجاوز الأربعين عاماً .. إلا نزرأ.

وإذا أحب الله يوماً عبده ألقى عليه محبة في للناس

ثم.. إن ما تقدم ما هو إلا (إيجازاً) مما .. لأستطيع أن أبسطه، أو أثري عنه ..
فإني أحسبني- أو قلّمي لا، ولن تُسغفه مفرداته مقابل ما تركت، وبصمة ما
أبقت، .. حتى وإن تحذقت عنها بجمله، أو انتقيت لها من ذرره!

أخيراً :

كرة أخرى أقول: هذه .. ليست كل أمي، بل جزئية أهتبلها لقلمي^(١) وأهتبل
وأهتبل للمولى ما نأى عنه مدادي^(٢) صابراً لرب (كريم) يُجزئها ﴿الجرء الأوفى﴾
﴿النجم ٤١﴾.

.. ولا أنسى- في خضم ثنائي على والدتي - ذكر مقام الغالية (شقيقة
الوالد) عمتي "نوره"^(٣) والتي قاسمتها معنوياً آلامها، وذلك: حين قطنت معها
بالمشفى حتى اختار الله والدتي .. إلى جواره.

وقد (وعدها) أن لا تخرج - أي: من المشفى - إلا معها، تخفيفاً وتهويناً على
والدتي، أبلغها الله إزاء صنيعها: ما تصبو وترجوه بفعلها .. من وصل وبر ووفاء.

.. فاللهم^(٤) أغفر للوالدة الغالية ووالديها- .. وكل غالٍ عليها - ووسع
مدخلها، واجعل قبرها روضة من رياض جنات النعيم، وأنزل عليها البهجة والنور،
والفسحة والسرور، واللهم ارفع درجاتها وعلّ منزلتها، و نقّها من خطاياها كما
يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم وبدّلها بدار خير من دارها، وأهلٍ خير من

(١) .. الذي طالما سمته أن يقول عنها .. هذا: (إن كان في القول ما يجدي عن الصول).

(٢) .. فأشدّ (البكاء) البكاء المولج، كما يقول أبو تمام .

(٣) انظر - مادة .. عنها- في ما يأتي ص ٢٩٧ وما بعدها-

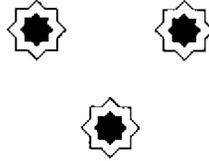
(٤) .. مع الدعاء (الذي تقدم ص ١٢٠).

وفاء .. لمن (وفى)

أهلها .. واجمعنا بها في مستقر رحمتك، مع : ﴿ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩) ، واغفر لنا وارحمنا إذا صرنا إلى
ما صاروا إليه، برحمتك يا أرحم الراحمين^(١) : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (ابراهيم: ٣٩)
- وأجزم أن هذا ال :

(دعاء) لك فيه ألف مؤمن توافق منهم السن وقلوب^(٢) -

.. والحمد لله، حمد الراضي المسلم بقضاء الله - والمؤمن.. بأن ﴿ لِكُلِّ
أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الزمر: ٦١) - ، وصلى الله وسلم على من آثر الآخرة على الأولى^(٣) .



(١) .. وهذا دعاء نقوله، ونأمله / لكل فقيد، مات على العقيدة الصحيحة.. والعمل الصالح -.. وانظر بما
تقدم ص ١٨ هامش (٤) -
(٢) مهيار الديلمي .
(٣) استجابة - وقد تقدم - لاختيار مولاة له : ﴿ وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ (الضحى: ١٠٤) .

(عَلَمٌ) .. فِي رَأْسِهِ / عَلِيمٌ وَنُورٌ .. وَإِيمَانٌ^(١)

لكل شيء.. إذا ما تم نقصان فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسان^(١)

الحمد لله الذي له ما أخذ وله ما أعطى.. وكل شيء عنده بمقدار،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار، وعلى من بنهجهم
اقتدى واستتار.

تبكيك مكة^(٢).. والمشاعر كلها وحجيجها، والنسك والإحرام
تبكيك طيبة.. والسهول ومن بها وعقيقها.. وجبالها الأعلام
تبكيك.. كل الأرض، حزنٌ ولوعة غرباً وشرقاً: أمة الإسلام

.. شيع العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه^(٣) - أمس الجمعة - شيخ
الإسلام في هذا العصر وعالمه .. الإمام في الخير والقدوة، وفي الجلد والصبر،

(*) نشرت بصحيفة الرياض (عدد : ١١٢٨٩) تاريخ ١٤٢٠/٢/٧هـ.

(١) .. بهذه الحكمة، افتتح (أو البقاء الرندي) رثاءً فقد الأندلس، ومعنى البيت إيجازاً من قول عمر رضي الله عنه :
(ما بعد الكمال إلا النقصان) - فما أفسى فقدنا (بعصرنا) هذا الإمام، الذي نحسب حبه (قربة) إلى الله -

(٢) إسم علم لمدينة حوت بيت الله الحرام - ومعناها من (المك): وهو محو الذنوب -

(٣) .. وقد أُبْنِ فقيدنا من كل الشرائع .. من القاصي والداني.. بل ومن البعيد قبل القريب، ولا غرو أن
تخصص الصحف (صفحات) خاصة.. ولعدة أيام لإفساح المجال .. للكل في تأيينه،.. ثم قامت وزارة
الشؤون الإسلامية - مشكوراً - بضم غالب تلك المقالات بمجلد صدر عنها له رحمه الله، وأنظر
تأكيداً بلغراف: "فهارس الكتب" للكاتب المجد (نجيب بن محمد الخطيب) عنوانه ب: (ابن
باز) بين القرطاس والقلم ط٤٢٤هـ رصد فيه البحوث والدراسات والمقالات والقصائد التي كتبت
بالشيخ بعد رحيله خلال ٢٢ يوم من بعد وفاته مباشرة - وهو: من إصدار نادي القصيم الأدبي،
الذي وشحه رئيسه (د. حسن الهويمل) بمقدمة أحسبها روجت للكتاب-

والمثال المحتذى في العمل والبذل ... ممن أحسبه جاز القنطرة^(١) - و.. في زعمي أن المتبني قصد. مثله. بقوله :

الناس ما لم يروك أشباهه والدهر لفظٌ وأنت معناه-

علامة عصره، ودرة عقد زمانه، وضياء سنا أيامه : صاحب السماحة^(٢) ،
(مقام) الوالد الشيخ /

(عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز) ١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ .
مفتي عام (السعودية) ، منذ ١٤١٤/١/٢٠هـ .

وكان .. قد تسنم عدة مناصب^(٣) - قبل تعيينه مفتياً عاماً -

ف / .. ماذا لدى المداد الواهن - من ضعف مُمليه - أن يُسَطَّر^(٤) .. في هذا
الظرف الآسي، والواقعة المحزنة لكل قلب!

وبالأخص .. عن مناقب الفقيده - والذي أجزم .. أنه قد :

تخالف الناس إلا في محبته كأن بينهم في وده .. رحم-

ف لله تلك النفس الطاهرة الزكية، الباذلة بإخلاص: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ

الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي

جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ (العنكبوت: ٢٧-٣٠) .

(١) القنطرة .. كما تقدم : آخر مراحل القيامة وقبل دخول أهل الجنة الجنة - جعلنا الله ووالدينا وفقيدنا منهم - .

(٢) اتفق أهل السير بتلقيب أهل العلم.. ك (سلطان العلماء) العز بن عبد السلام، و(شيخ الإسلام) ابن تيمية، و (حجة الإسلام) أبو حامد الغزالي، و (الإمام^(*) المجدد) محمد بن عبد الوهاب.. الخ .

(*) ملاحظة : إن " لفظة" إمام تنطبق على وجهي / إمامة بالخير وإمامة بالشر، فهذا النعت يختلف عن لفظة قولك صاحب السماحة أو العلم.. و العلامة .. الخ .

(٣) انظر ما يأتي - في ص ١٧٨ -

(٤) - أو هل هو أهل لهذا (انظر في ختام ص ١٢٢ / ١٢٣) -

وفاء .. لمن (وقى)

ولله ذلكم القلب الذي حمل الدعوة وهمها، والعلم.. مع العمل به: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (نصحت ٠٣٣) .

ولله تلكم النفس الصابرة المحتسبة: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (آية ١٥٦) .. أجل :
ما أكثر المثني عليك (ديانة) ^(١) لو أن جماماً كان يثنيه من يثني
ولله تلكم الطيبة والسماحة والبساطة .. والتواضع الجم .

وأحسن أخلاق الفتى وأجلها تواضعه للناس وهو رفيع

عرف فيه ذلك كل من خالطه ^(٢)، وشهد له به .. كل من آلفه.

.. وكأنه يرتشف من معلّمه ابن تيمية - رحمهما الله - قوله (ناصحاً):

(ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر بلا منكر) .

.. وذلك من أدلة جلية ونصوص صريحة في هذا، من الكتاب والسنة ..

يوصل مرادها قول د / الغدواني: (إن الإسلام مُقنع ^(٣) متى استطاع أصحاب المشروع الإسلامي حُسن الحوار والمناظرة، والبُعد عن الوصاية والاستعداد..) ^(٤) .

(١) أي .. كأنه (دين) لك على الكثيرين.

(٢) انظر تركية تلميذه ابن عثيمين - ص ١٨٧ - .

(٣) .. ومما قالته صحيفة (الحزب الشيوعي) الصيني، في ما يوازي مناسبة: " ليس حقيقاً قول (ماركس): الدين أفيون الشعوب، وها هو الإسلام وما يقدم أهله (أي: إنموذج.. كشيخنا الراحل): من خير وإصلاح للأمة.. الدليل!، وهذا المنحى من أمر ربنا من قبل، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل ١٢٥)، وفي الدعاء النبوي: { اللهم أهدني لأحسن الأقوال والأعمال، لا يهدي لإحسانها إلا أنت } - فالسعادة بإيجاز: (في التوفيق لعمل الخير، وخير العمل) -

(٤) - كتاب (إصلاح الفكر) ص ٧٧ -

وقد قال (صالح التميمي):

يا أيها العربي أنت رسالة^(١) في الكون تحشر دونها مسؤولاً

أي بما تحمله من رسالة، و(نموذج) في تطبيقك^(٢) أنت له.

وهذا جرح غائر لا بدّ من فتحه - ليعالج - .. أو بسطه ليُرى موقع الخلل فيه :

الحق أن (الدين) يلقي من أهله - أو مُدعيه^(٣) - بهذا العهد.. أكثر مما

يلقى من خصومه، كما التفت لهذا صاحب كتاب (حُصوننا مُهدّدة من الداخل)!

وذاك من عدة أوجه :

أولاً: الحكام الذي يدعون أمام شعوبهم احترامه ولو من خلال إبداء عن بعض

مظاهر شعائره ك (الصلاة والصيام): بل أن أحد القاده يؤمّ بثلة كثيرة في

وقت الصلاة - وبينهم العالم والنحرير.. الخ-!

وهم - أي الحكام - بالحقيقة يعملون خلاف تعاليمه، والتفت قليلاً إلى

شيء من علاقاتهم مع بعض الدول - .. فضلاً عن علاقاتهم مع شعوبهم - لتُدرك

المرمى، و(إن عُلّل لبعضهم: أن فعلهم آتٍ حمايةً لعروشهم)، وهنا ألفت لقوله تعالى

- لمن يعلل -: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلِ اللَّهَ

عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (النساء ١٠٩) .

(١) .. أي بالنموذج والمثال الذي تعكس به (صورة) المسلم الحقيقية.

ويؤكد هذا: أن كثيرٌ من دول جنوب شرق آسيا ومعظم دول أفريقيا قد دخلها الإسلام من خلال

تعامل أهلها مع تجار مسلمين

(٢) وقد قيل (كلُّ منّا على ثغره) - من ثغور الدين-، فإياك أن يأتي الإسلام من قبلك!

(٣) ولا عُذر لأحد، فإن من أقل واجبات المسلم تعلّم ما تقوم عليه صحّة عبادته، انظر كتاب (ما لا

يسع المسلم جهله) لـ "د. عبد الله المصلح" - تعليق: (د. صالح فوزان الفوزان) -

وفاء .. لمن (وفى)

ثم لا تعجب إلى من تمادى- خارج حماية (العرش) - أن ترى نقائص بين قولهم أو (إدعائهم)، وبين صنيع يُخالف تعاليم الإسلام، لا أقول عن فروعه بل عن القواعد!!

ثانياً : من بعض علمائه الذين يهادنون بفعلهم أولئك الحكام - كما تقدم- وقد قال المولى مُحذراً: ﴿ وَدُّوْا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴾ (الْقَلَمُ ٥٥٩) .

ثالثاً : من ثلثة من لهم فهم خاص في تعاليمه، فيلزمون الآخرين - ولو بالقوة - بما يسمى اليوم: (بالإرهاب).. وما يُسمى من قبل الإعلام عنهم بالمتطرفين! بوقفه على فهمهم (إجباراً)، وربما (الثاني) و(الثالث) من عناه العلامة "محمد الغزالي" - رحمه الله - بقوله :

(إنني أعتقد أن انتشار الكفر في العالم، يقع نصف وزره على متدينين، بَعْضُوا اللَّهَ إِلَى خَلْقِهِ بِسُوءِ كَلَامِهِمْ ، أَوْ سُوءِ صَنِيعِهِمْ)!!- أي : ممن قال فيهم المولى ﴿ يُخْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [الحشر:٢٢] -

رابعاً : نقيض (ثالثاً) ثلثة لهم موقف من بعض شرائعه، بخاصة عن المرأة والتعدد (في الزوجات) والحجاب، وبعض الحدود - والتي إمعاناً من الأنظمة - .. لا تُطبَّق إلا على البعض^(١) (فهم أو رفضهم للحالين باطنيناً: الحدود، وظاهرياً مستوى تطبيقها)، فهم .. للأسف: ممن يخلط بين ما غلب عليها العُرف الإجتماعي، أو العادات والتقاليد^(٢)! فوسمت (ربما قصداً) بالإسلام، لكي ينفّر من تعاليمه الأخرى: الحسنة.

(١) ولو نظر أحدهم للإسلام بالقسطاس المستقيم: لفرّق بين أصل التشريع، ونوع .. أو قل: من يقوم ب (سوء) التطبيق!!

(٢) وقد جليت عن هذه كثيراً - في أحد نقاط كتابي (أفكار تستحق الإبحار) بعنوان: المساواة- بين الجنسين-

خامساً : من بعض من أفرزتهم الأنظمة بسلطتها (لعمل التوازن بالمجتمع) لتبقى -
أو خلف شهوات من لهم هوى.. في هذه الفئة التي ركبت موجة إرضاء
الحاكم - مع حفظ الحاكم لهم بالمقابل إما بشهواتهم أو منافعهم
الخاصة، ومراكزهم-

نعود وبعد هذا (اللمس) على الجرح.. لذلك :

.. الأمة - في رجل - ، والذي حمل هم الإسلام تبليغاً وتعليماً ، وهم المسلمين
نصحاء ونصرة.. وشفاعة ، وكان في الحاليين نعم القدوة-^(١) أجل ..

العالمان عليك ينتحبان قاصيهما في ماتم والسداني-
إذ.. كان للصغير أباً ، وللضعيف إزرأ ، ولليتيم والياً ، وعلى الأرملة قائماً ،
وللمحتاج باذلاً .. ، وللسائل مفتياً ، وللداعي مُجيباً ، كذا قال القباني:

يا (أبي) إن تاريخ طيب وراءك يمشي ، .. فلا تعتب
وعلى اسمك نمضي ، فمن طيب شهي المجساني.. إلى أطيّب

فيا فقيد المسلمين^(٢) .. ما في المداد في خضمّ هذا الخطب الجلل من عتاد
يوازي أعمالك ، أو يحصي مآثرك ، أو أن يقيس مقامك.. في قلوب مكلومة من
فراقك ، حزينة على بينك.. باكية لرحيلك.

(١) جاء في كتاب "جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز" ص ٧٩:

في يوم من الأيام كان سماحة الشيخ على موعد بعد صلاة الفجر ، فلم يصل في المسجد ، وذهبنا
بعد الصلاة إلى منزل سماحته ، وانتظرناه ، وقلقنا عليه ، فخرج علينا ، وسألنا عن الوقت ، فأخبرنا
بأن الجماعة قد صلوا. وكان - رحمه الله - متعباً في الليل ، ولم ينم إلا في ساعة متأخرة ، وبعد أن
قام للتهجد اضطجع فأخذ النوم ، ولم يكن حوله أحد يوقظه ، أو يضبط له ساعة المنبه ، وبعد أن
علم أن الناس قد صلوا صلى ، وقال للأخوين الكريمين الشيخ عبد الرحمن العتيق ، والأخ حمد بن
محمد الناصر: (هذه أول مرة تفوتني صلاة الفجر)!

(٢) بل وأحسن ابن الأخت (وليد بن صالح الحماد) اختياراً حين عنوان مادته - في رحيل الشيخ - ب :
(فقيد الجميع) ، صحيفة الرياض ، عدد / ١١٢٨٨ ، وقد أجاد كثيراً بما أوجاه بالمادة عنه ، مع أنه
مقل في الكتابة - وهو أهل لها- .. ولعل في هذا (دعوة) له .. ليشرى لنا.

وفاء .. لمن (وقى)

الْحُزْنَ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلَ يَرْدَعُ والدمع بينهما عصي طيّعُ
يتجاذبان دموع مُسَهَّدٍ هذا يمضي بها.. وذاك يرجع

.. كذا قال (المتنبي) بمثل حالنا في مصابنا بك.

.. وكيف التَّجَمُّلُ! .. وقد فقدنا والدنا وعالمنا وعلمنا وقدوتنا.. بل وفخرنا:

.. في عصر قزمت فيه الجذوع التي كانت طويلة - نسأل الله أن يزيل عنا

الهبوان الذي أصابنا.. والوهن الذي ركننا إلى الدنيا!-

فهل .. إلا لك .. هذا البوح ؟

غليل باطن لك في فؤادي يُخفف بالدموع الجاريات^(١)
.. ولو أني قدرت على قيام بفرضك.. والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي وبحث بها خلف النائحات

ف .. - كما قال الفرزدق - يا :

(عيناي) إن لم تُسعداني ألكما فما بعد (بن باز) من عزاء.. ولا صبر
ألم تر أن الأرض أو جفت وأن نجوم الليل بعده.. لا تسري

أما خلاله، فلا أعلم ممن عرف الشيخ من قريب أو بعيد حاضراً أو ماضياً

إلا ويثني على رفته، وتواضعه، وأدبه، وحلمه، وسماحته، ولين تعامله.

(١) .. أبو الحسن الأنباري.

حتى ليظهر ذلك جلياً في فتاواه متتبِعاً في ذلك نهج معلمنا الأول ﷺ ، قالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما: (مَا خَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا) - الحديث -

.. يثني عليك لسان من لم تُوله خيراً؛ لأنك بالثناء جدير^(١)

وقد كان لي أن حظيت ببلقائه أوّل مرة قبل بضع عشر عاماً، حين تجشّم - رغم مشاغله الجليلة - وحضر معنا إلى المقبرة في تشييع والدي (الشيخ علي) عليهما رحمة الله ورضوانه.. وما ذلك الصنيع إلا تقديراً منه لأهل الخير والعلم والصلاح.. - جعل الله ذلك في ميزانه .. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (الشعراء، ١٠٨٨) .

عليك تحية الرحمن تترى برحمات غوابٍ رائحات-

أما آخر لقاء أثناء الصلاة على صنوة فقيد العلم والعلماء الشيخ (صالح بن غصون) عليهم جميعاً رحمة الله الواسعة:

أحبّ الصالحين .. ولست منهم^(٢) !

إلا أن يشاء الله .. أن يشملني بهذا الخير من فضله.. هذا عذري مع التقصير، أما عذر القلم في ضعف هذا الإنشاء، - أو قلة مادته - من عذر صاحبه ..

(١) كذا قال (كثير عزه)، يرثي / عمر بن عبد العزيز، وقيل لرجل من خُزاعة -

(٢) كذا.. قال (الشافعي) - رحمه الله - ، وهو من هو، في عدم تزكية لنفسه، فمن باب أولى أن أتمثل بهذا..

وأحسب فيما نظمه عمر أبو ريشة^(١) - رحمه الله - .. كافي:

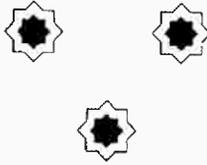
فما نحن أول من بنى وبنائه لم يكمل

ثم ..

لعلّي وألأسى لا زال يتجللني - أن أثبتّ عن بقايا ما لدى الخاطر في
(المادة) التالية. والتي أحسبها : علمية تتحدث عن (الراحل) في شيء من جهده،
ومكانته، وأثره... الخ.

وليسمح لي أبناؤك، وذووك إن لم أخصّهم بالعزاء، فإننا لتعزّي معهم به .

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، ، ،



(١) .. وهو بالمناسبة من الشخصيات التي نسيت التنويه عنها، بـ (كم) وددت أن أرثيه أن رحيله، فقد
قدّم - يرحمه الله - عطاءً شعرياً وقف (به) مع جراح الأمة، وبُحّ صوته.. خلف أمالها.

بدرنا الذي أفل : أمة .. في (رجل)^(*)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

مطلع /

.. وقالوا: قضى نحبه وصيحة من قد نعاها علت
فقلت : فما واحد قد قضى ولكنه (أمة) قد خلت!

.. بعد أن ذهب هول المفاجأة^(١) .. وخفّ وقع النباء .. وسلّم العبد بالقضاء،
يستيقظ المرء.. ليردد أو يتسأل - في ضوء .. ذلك - : سبحان الله^(٢) ! ما كل هذا
الحب لذلك الفقيد؟، وما كل تلك الدموع التي انهمرت؟، والآهات
التي سُكبت، والأحزان التي أضررت عليه- أو .. على (أمة)^(٣) .. في رجل) - ..
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود درّ، فما أرضى لكم كلمي

- .. كما يقول المتنبّي - إذ لا زلت أراها دون قدركم!

(*) نُشرت المادة، في الجزيرة .. عدد ٩٧٣٨ - في ٢٠/٩/١٤٢٠هـ...

وأصل العنوان الوارد بالصحيفة : (ذلك الذي أفل ، أمة في رجل) -.. فغيرت .. إلى ما يناسب سياقها العام-

(١) التي حلت في الخميس - فجراً - سبع وعشرين خلت من شهر الله المحرم ١٤٢٠هـ.

(٢) وفي الآثار : مرّ سليمان عليه السلام وجنوده فوق أحد الرعاة، فغطى موكبه الشمس، فرفع
الراعي بصره، وقال (سبحان الله ، لقد أوتى إلى داود ملكاً عظيماً) ، فنزل سليمان وسأله عما
قال؟ فلما أجابه ، قال : (لقولك سبحان الله.. تعدل كل ملك آل داود).

- وفي الحديث : { لأن أقول سبحان والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.. خير لي مما طلعت عليه
الشمس } -

(٣) الأمة : الرجل الجامع للخير، أو الإمام الذي يؤتم به .. للأمة، قال تعالى : { إن إزهدكم الله خبيثاً
وليزيدكم من المنكرين } - (النحل ١٢٠) - وانظر في قول (الهويل ، ص ١٤٧) -

وفاء .. لمن (وقى)

.. أكاد أجزم فأحصر .. وأقصر الإجماع - بهذا العصر - على غياب
الفقيد (ابن باز).

فلا أعلم أن أحداً نال تأبيناً (نثراً) ورتاءً (شعراً) كشخصه!

ومن تابع الإعلام بعامة المقروء منه بخاصة ليلحظ حجم ما تلمته الأمة من
هذه الرزية كما قال (عبد العزيز السالم) ^(١):

(وكما احتشدت الجموع الزاحفة من أنحاء البلاد للمشاركة في الصلاة
على الشيخ الجليل وتشيينه إلى مثواه الطيب. كذلك احتشدت الأقدام الصادقة
لتملاً صفحات الصحف بالحديث عن مآثره الطيبة نثراً وشعراً) .

فهو بحق قلماً تجود النساء بمثله، أو أكاد أقول: (تعجز النساء أن تلد
مثله) - .. وهذه: كلمةٌ ضافها عمر في خالد بن الوليد - رضي الله عنهما -.

بكى عليّ يوم موت عمر- رضي الله عنهما- فسئل في بكائه؟ فقال :
(أبكي على موت عمر.. إن "موت عمر" ثلثة في الإسلام لا تُرتق إلى يوم القيامة).

لكن.. وقد اختصر (د/ رجب بيومي) :

" المصلحون لا يموتون إلا بأجسادهم فحسب! أما ذخائرهم العلمية فتزداد
بريقاً على مدى الأيام" ، .. وأقول أيضاً: بما علموا في أفئدة مُحبيهم من تعامل، ..
وتركوا بصمةً باقية.

ثم، هل لأنه أهل لذلك فقط - رحمه الله -؟!

أسبل الدمع .. فهذا وقته فليمثل "الشيخ" .. قد أعددتَه ^(٢)

(١) صحيفة : (الرياض) -- عدد ١١٢٨٩ .

(٢) سعد أبو حمد.

فإذا لم يبكه القلب.. لمن يا ثرى هذا البكا أو قفته؟
أو لأنه (النموذج) الذي نخاف أن لا نُعوّض مثله - شمله الله برضوانه-
أو لأنه الحبيب المحبوب! ، وقال ..

وقال فيه محمد تقي الدين الهلالي (ت ١٤٠٧هـ) - رحمهم الله -:

خليلي عوجا بي لنغتنم الأجرأ على (آل باز)، إنهم بالعُلا أحرى
..إمام الهدى (عبد العزيز) الذي بدا بعلم وأخلاق أمام السورى بدرا

أو لأنه القدوة التي تتسم ذواتنا إليها، أو لأننا وجدنا (به) ما لأنفسنا نتمنى.

كبير أن تكون لنا المصابا لقد متعتنا حججا.. عذابا^(١)

أو لأن فقيدنا قدّم لنا صورة المسلم الحقيقي، بل ربما لكل ذلك!

علم الله وبلا تأله : - أن لو كان (خاصة) الأمة - من علماء وولادة - مثل

شخصه - تلميذ الإسلام النجيب - لخضع للإسلام العالم بلا عتاد^(٢)!

فقد كان - (رحمه الله) - يتمثل المنهج (الرباني) في الدعوة تطبيقاً^(٣)

وتوجيهاً، وُصحا، وحباً.

وكان يتمثل المسلم (الحقيقي) - في زمن عزّ على الكثير إلا ما شاء الله

أن يكون كذلك - في صفاته وأعماله.

وكان المرأة العاكسة للسماحة والأخلاص والطيبة والعضو .

وكان الرمز الذي يُشار إليه لمن يشهد القدوة، أو يلتبس نور المعرفة.

(١) مسافر - أحمد الصالح - (الجزيرة) عدد ٩٧٢٠ - وانظر/ ثنايا ص ١٨٢ -

و (حججا) كناية عن الأعمام - إذ كل عام ليس فيه سوى موسم (حج) واحد -.

(٢) وانظر إيمائه في قول (د. الغدواني) ص ١٦٧ .

(٣) هل تعلم أن الشيخ لم تفته صلاة الفجر في حياته كلها سوى مرة واحدة - كذا روى عنه من شهد

تلك الحادثة!

وكان ك (الركن) الذي يتكأ على نهجه، وعلمه وعمله .
وكان معينه غداً^(١) للذي يهفو إليه كل من يسلك طريق الدعوة والعلم .
.. رَوَى عَنْكَ أَهْلُ الْفَضْلِ كُلِّ فَضِيلَةٍ فقلنا حديث الحب ضرب من الوهم
فلما تلاقينا وجدناك فوق ما سمعنا به في العلم والأدب الجمّ
فلم نرَ شيخاً قبيل (بازنا) يصيد فلم يؤذِ المصيد بدم
بل .. وكان، وكان، هذا هو : سماحة الشيخ .. العالم العلامة.. و الإمام:
(عبد العزيز بن عبدالله بن باز) - ١٣٣٠ / ١٤٢٠هـ - ، و :

(.. الذي تقلد في حياته الباكورة القضاء في منطقة الخرج والتدريس في
المعهد العلمي بالرياض ، وفي كلية الشريعة بالرياض، ثم عين عام ١٣٨٠هـ نائباً
لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي عام ١٣٩٠هـ تولى رئاسة الجامعة
الإسلامية بعد وفاة رئيسها الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله .

وفي ١٣٩٥هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات
البحوث والدعوة والإرشاد برتبة "وزير"، ثم صدر الأمر الكريم في
١٤١٤/١/٢٠هـ مفتياً عاماً للسعودية^(٢) .

فالناس كلهم لفقدك واجد في كل بيت رنة وزفير
عجباً لأربع أزرع في خمسة في جوفها جبل أشم كبير

. ومن قبل كانت (البداية) .. من يتم.. وكفاً بصر، فوالده توفي عام
١٣٣٣هـ ولسماحة الشيخ ثلاث سنين. فنشأ يتيماً في حجر والدته التي توفيت -
رحمها الله- وللشيخ من العمر ستة وعشرون عاماً، وكان مما ينقل عنها
- رحمها الله-: أنها كانت قلقة على الشيخ وعلى مستقبله، وبخاصة لما كف
بصره وهو ابن تسعة عشر عاماً.

(١) .. كما قال تعالى : ﴿ لَأَشْفِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الحن ٥٦) .

(٢) صحيفة (الجزيرة) - باختصار - عدد ٩٧٢٤ ، وللافت هنا أن الشيخ يرحمه الله ، لم تُبهره هذه
(المكانة) الجديدة والمقام السامي، إذا أن المنصب هو الذي إزدان به ، .. - وكما تقدم هامش (٢)
ص (٩): لما سُئِلَ الإمام الشنقيطي عن شهادته، أجاب الملك فيصل رحمه الله - عنه - : إن الإمام هو
الذي يُعطي الشهادات! .. وانظر في ص ٢٥١ - مع هامش (١) -
وأجاب نابليون.. حين سأل: لما لا تجلس في صدر المجلس؟ قال : المكان الذي أنا فيه.. هو صدر المجلس!

وعملاً بالأسباب ورغبة في البعد عن الحاجة للناس فقد عمل سماحة الشيخ - رحمه الله - في صباه في بيع (البشوت) - عباءات الرجال - مع شقيقه محمد الذي يكبره بخمس سنين، إلا أن الشيخ كان يتردد على حلقة المسجد لحفظ القرآن الكريم، حيث أتم حفظه وقد بلغ الرابعة عشر من عمره تقريباً.

ثم اجتهد - رحمه الله - في طلب العلم وحضور دروس العلماء، حيث تفرغ الشيخ للعلم تفرغاً كاملاً. وقد كفَّ بصره عام ١٣٥٠هـ وله من العمر تسعة عشر عاماً وأشهرًا.

وله - يرحمه الله - إلى جانب ذلك كله: العمل في هيئة كبار العلماء التي كان يرأسها، .. قال العلامة (أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري):

(والشيخُ: حنبليُّ في أصول الفقه لا أعرف له اجتهاداً يخالف الأصول عند الحنابلة، وهو حنبلي في الفقه بالجملة، ولكنه يجتهد في دائرة أصول أحمد على طريقة أهل الحديث، ويطلب الدليل، ولهذا خالف^(١) الحنابلة في مسائل يسيرة كزكاة الحلبي^(٢)، وبعض صور الطلاق البدعي، ويستأنس بترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية)^(٣).

.. فقيد بني الإسلام في كل موطن
فزهديك عنوان وحلمك واسع
خدمت صروح العلم منذ كنت يافعاً
يعزّ علينا أن تُغيب في (الثرى)

يزينك بين الناس خلق مهذب^(٤)
لك الصبر عزم والسماحة مذهب
وكهلاً لأعلام الشريعة مكسب
ولكن حكم الله ما منه مهرب

نعم : حكم الله .. القائل سبحانه ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ (ال عمران ١٥٠) .

(١) .. و يسهب سماحة فقيدنا عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ب : (الاختلاف قديم من عهد الصحابة رضوان الله عليهم، لكن الواجب العدل والأدب في هذا، وأن يبين الحق الذي اختلف فيه الناس ثم يضيف / فالاختلاف لا بد من وقوعه، لكن يجب على أهل العلم والبصيرة الإيضاح، لأن كل إنسان يخطئ. ثم أوضح: إن كان المخطئ من أهل السنة يبين له الخطأ بالأسلوب الحسن والكلام الطيب، أما أهل البدع فينكر عليهم ضلالهم وتفرقهم واختلافهم) - الجزيرة عدد ٩٧٣١ -

- ولي رسالة.. في هذا بعنوان: (خلاف لا اختلاف) توسعة في طرح هذا المفهوم - أرجو أن أنشرها قريباً بإذن الله -

(٢) التي يراها (الأحناف) .

(٣) في صحيفة: (الجزيرة) - عدد ٩٧٣٠ .

(٤) د . محمد الدبل (الرياض) - عدد ١١٢٨٦ .

وفاءً .. لمن (وقى)

لكن .. فقط في الدموع التي قال .. فيها ﷺ : {إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي الرب : إنا لله وإنا إليه راجعون} .

ودعتها بالقلب منك سنيماً ^(١)	ودعت دنيانا بجسمك بعدما
جعلت محباً دلالها مفتوناً	وزهدت فيها وهي ذات تبرج
ورجالها وبناتها وبنينا	عزيت فيك ولاة أمر بلادنا
منحوك حباً في القلوب ثميناً	عزيت فيك العلم والعلماء قد
فقدوا بفقرك مرشداً ومعيناً	عزيت فيك المسلمين جميعهم

فسبحان من بيده الامر كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، و الذي فضل بعض عباده على بعض ، فجعل لهم من القبول والمحبة في قلوب الناس ما لا يمكن تحصيله بمال ولا بجاه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (سورة ١١٦) .

.. بل ولما لا ، و حجة .. من له حاجة يُردد :

وأفضل الناس ما بين الوري رجل	تقضى على يده للناس حاجات
وأشكر فضائل صنع الله إذ جعلت	إليك لا لك عند الناس حاجات

إذا كان يعطي من علمه وماله وجاهه ، ومن يملك اليوم مثل ذي الحسان ..

إلا ما ندر ..

(١) د. عبد الرحمن العثماوي (الرياض) - عدد ١١٢٨٥ .

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعه من جاهه.. فكأنها من ماله

كيف لا؟، وذاته "الكبيرة" تُبدي عليه:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت بمرادها الأجسام

واليه تُعيد:

ولكن بالصبر تبلغ ما تريد وبالتقوى يلين لك الحديد

- قال الشيخ (د. عايض القرني) ^(١):

(قرأنا في تاريخ الإسلام عن علماء منهم من صار مجتهداً في العلم فشغله ذلك عن العامة، ومنهم من زهد في الدنيا فلم يستطع قضاء حاجات الناس، ومنهم من اعتزل فلم يصبر على أذى الخليفة، ومنهم من أفتى ولم يُؤلف، ومنهم من كتب ولم يُعلم.

لكن "ابن باز" شيء آخر، جمع فضائل هؤلاء جميعاً، .. فهو عالم مجتهد، رجل عامة، إمامٌ زاهد ذو منصب وجاه أبّ للأرامل والمساكين، أفتى وحاضر وعلم وخطب وراسل وشفع وضيّف ودعا وجاهد).

فعلاً:

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات!

- أو.. قُل:

إن فقد الكبار رزء عظيم ليس كفقْد الرعاع ^(٢) والأرذال!-

(١) .. في صحيفة (الرياض) - عدد ١١٢٨٩ - .. وانظر ثانياً قول الخويطر في ٦/ ص ١٢٠ -

(٢) .. وهم من ليس لهم قيمة في جملة الناس.

وأحسبه - واللّه حسيبه - قد تجلله ما جاء في الحديث القدسي: { لا يزال العبد يتقرب إليّ ... إلى أن قال : حتى أكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره.. } الخ

- أخو العلم (حيّ) خالدٌ بعد موته وأوصاله تحسب التراب رميمٌ
ذو الجهل ميّت وهو يمضي على الثرى يُعدّ من الأحياء وهو عديمٌ-

و .. كان - كما قال (ابن عقيل الظاهري) - :

" .. شجى في حلوق المُبتدعين ، ولم يتفرّغ للتأليف - سوى كُتبيبات تمسُّ إليها الحاجة ، وإنما بث علمه بالتدريس والوعظ وحلقات القراءة والفتوى والردود على المخالفين والرسائل وعند الناس من رسائله التي لم تُصدّر بأرقام رسمية مئآت".

أُعلّم الأجيال علم شريعة كادت عصور الجهل تحجب صوتها^(١)
أنجبت من فقهاء عصرك أمةً قد أثمرت بالعلم حيث غرستها
وأريت - بالأخلاق - أيةً سيرةً للمصطفى آثرتها، فتبعتها

ومع هذا .. فلا أظن أن بيتاً - في وطن التوحيد - يخلو إلا ما شاء الله من كتاب، أو رسالة، أو مذكّرة، أو حتى فتوى لعلمنا الفقيه رحمه الله.

بل إن له ما يُقارب (٢١٠) مؤلّف ثميناً في شتى علوم الدين الإسلامي الحنيف، ومنها مجموع فتاوى - من عدة أجزاء - :

للشمس فيه وللرياح وللسحاب وللبحار وللأسود شمائل^(١)

(١) (محمد بن سعد المشعان) رحمه الله - (الرياض) عد ١١٢٨٥ .

.. علامّة العلماء والليجّ الذي
لو طاب مولد كل حي مثله
يا أبي هل في نشيج مدادي .. ما يُخَفِّضُ عُنِي .. فكان أن أسهبت هذه
الأسطر ، عسى!.

رحلت .. وكنت ملء القلب أنساً
لقد فزعت .. كل الناس حباً
إمام العلم أوجعت المآقي
رحلت .. وأمة الإسلام تشكو
أبا العلماء والفقراء ، إنّا
رحلت ، وفي القلوب هواك يسري

لكني أعود .. لأقول بكاه (الجميع) :

إلا التُّرابُ تضحكت ذرّاته
وكذا معنى رناهُ أبو تمام :
وشدت تُرْحَبُ فاللقاء جميل
ثوى طاهر الأردن لم تبقى بقعة
من الأض، إلا اشتهدت أنها قبرُ

.. فرحم الله " عبد العزيز بن باز " وأسكنه في عليين ووالديه .. ﴿ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا ﴾ (النساء ، ٦٩) . - وإيانا ووالدينا -

(١) المتنبي .

(٢) الشاعر " مسافر " .

ختاماً :

تسألني الناس بالدنيا، وأنا لعمر الله بعدك ما سألينا

إن للفقيد في سويداء القلب منزلة لا تُداني؛ إذ له من الأفضال ما لا يُحصى،
وله من المآثر ما يندّ عن الحصر، ويكفيه علمه الشرعي، وإنَّ فَقْدَ (العالم)
لخسارة عظمى^(١)..

.. رحمتك الله واسعة، ونسأل الله أن يكتب أعمالك في ميزان
حسناتك، وأن يعوّض المسلمين عنك خيراً.. وإن يلهمنا ويلهم الأمة الصبر والسلوان
بأمثالك أيها الفقيد الغالي و " إنا لله وإنا إليه راجعون "

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وإن افتقادي واحداً بعد واحد
وكل إلى دون الممات قليل
دليل^(٢) على أن لا يدوم خليل

جعلنا الله وإياهم.. وإياكم ممن :

﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام ١٢٧) ..



(١) .. وأعيد ما يوازيه .. بقول (ابن المقفع) :

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولكن الرزية فقد شسهم
ولا شاة تموت ولا بعير
يموت بموته بشر كثير

(٢) .. وهذا (العذر) .. في هذا -

خَيْرُ الْمَصِيرِ^(١)

الحمد لله ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ ﴾^(٢) عَمَلًا ﴿ ١ ﴾

(الملك ٠٠٢) .. وصلى الله وسلم على خير الثقلين الموجه ب : {تعزوا عن مصائبكم بي} --
رواه أحمد في المسند -

(الحزن) يُقلق والتجمل يردعُ والدمع بينهما عسي.. طيغ^(٣)

أجل ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (الفرقة ١٥٦) . من قبل ومن بعد :

قال سبحانه - مزكياً ثلثة من عباده-: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ (الأحزاب ٠٢٣) .

كمقام الوالد العلم، صاحب الفضيلة الشيخ : (محمد العثيمين) رحمه

الله رحمة واسعة، نقول ذلك بمقتضى ما نعلمه عنه، وموافقة لقوله ﷺ : { أنتم
شهود الله في أرضه } .

بل وثبت ذلك، أو نرفها بشرى (لك)، فهذه القلوب المكلومة لفقدك،

المتدفقة بالحب، هي علامة على حب الله لك، وهي أن شاء الله صدى لحب علوي

(*) نشرت المادة في صحيفة (الجزيرة) عدد ١٠٢٣٧ - تاريخ ٢١/١٠/١٤٢١ هـ .

(٢) وفي الدعاء الوارد دبر الصلوات المفروضة (.. وعلى حسن عبادتك) فلم يرد الكثرة إلا لما^(٤) - أمام
مطلب الإحسان في العمل - فالإحسان : هو { أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه
يراك } هذا ما حمد أهله.. المولى جل وعلا، لأنه سبحانه لا تنفعه عبادة العابد كما: ولا تضره
معصية العاصي.

- (*) وانظر الحديث القدسي، فيما تقدم - مطلع ص ١٨٢ -، وللحديث: { الصلوات الخمس،
والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهن، إذا اجتبت الكبائر } - ولعل هذا يجبر ما يحدث من التقصير -

(٣) المتبني.

فزت به .. فأثمر قبولاً في الأرض، وكما جاء بالحديث : { إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل فقال : يا جبريل، إنني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل وينادي جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبول في الأرض } .

ولقد كان لنبأ وفاة سماحته أثر عظيم على نفسي، إنه لخبرٌ مُفجع بهزُّ المشاعر ويدمع العيون، إذ فقدته يعدّ - فيما يعدّ - خسارة كبيرة للأمة الإسلامية أجمع.

أتعلمون ما نبكي؟ .. نبكي - مع بين شخصه - مقامه .. وعلمه.

أجل : نبكي ذلك (العلم) الذي هو ميراث محمد ﷺ، كنا نفتخره منه بياناً صافياً واستتباطاً دقيقاً وحُجّة دامغة تُثير للمستفتي ما خفي عليه تحت ظلمة جهله، .. ألا فلا ضير أن ندعوه بـ (الحبر)^(١).

ولقد صدقت الداعية (د. رقية المحارب) بأن :

(هذه المكانة الرفيعة للشيخ - رحمه الله - في قلوب الناس، كانت نتيجة البذل والتضحية والتعليم والدعوة والجهاد الكبير في كل ميدان ..)

(١) (الحبر): الإحسان، والتحسين، - .. قال عبد الملك بن إدريس :

والعالم المدعو حبراً، إنما سماه باسم الحبر حمل المحبر -

وهي صفة (عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما: حبر الأمة، والذي مدحه عمر ﷺ :
(الفتى الكهول ذو اللسان السؤول).

(١) الشيخ :

- قال أبو تمام :

كذا.. فليجلّ الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها.. عُذر

عن أربعة وسبعين عاماً وعشرين يوماً رحل إلى من إليه المرجع والمآب.. إنه :
(محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين^(١) الوهبي التميمي) - ١٣٤٧هـ / ١٤٢١هـ -

تلميذ شيخه الأول^(٢) : عبد الرحمن بن ناصر السعدي : (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)
الذي قال فيه :

(لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبد الرحمن السعدي في طريقة التدريس،
وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني) .

كما أسدى عن شيخه الثاني - كما يسميه^(٣) - فقيدنا " ابن باز " رحمهما
رحمهما الله ب (تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله من جهة العناية
بالحديث ، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس) .

وقد / تولّى إمامة الجامع الكبير بعد وفاة شيخه " عبد الرحمن السعدي "
رحمهما الله ب (عنيزة) - التي وُلد فيها - والتدريس في " مكتبة عنيزة الوطنية "
.. إضافة إلى التدريس في المعهد العلمي، ثم انتقل إلى كليتي الشريعة وأصول
الدين في: فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بالقصيم) .. حتى وفاته.

(١) .. تصغير (عثمان) - .. انظر هامش (٥) ص ٢٢١ -

(٢) - وصاحب التفسير العظيم " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " -

(٣) .. وكذا أكد أخيه الدكتور (عبد الله العثيمين) :

" كان العالمان الجليلان عبد الرحمن السعدي وعبد العزيز بن باز - تعمدهما الله برحمته ورضوانه
- أعظم استاذين للشيخ محمد العثيمين، رحمه الله، وكان لهما من غزارة العلم، وفضل نشر
المعرفة التي وهبها الله والتفاني في إرشاد الناس إلى ما يحتاجونه إليه من أمور دينهم ، ما جعل
مودتهما تنغرس في أفئدة الكثيرين " - صحيفة (الجزيرة) عدد ١٠٢٢٩ -

(٢) أثره :

.. لقد تركت - برحيلك - مكاناً في القلب خاوياً ، كان معموراً إذ كنت
بين أظهرينا ...

إذا مات ذو علم وتقوى فقد ثلمت من الإسلام ثلثة^(١)

فلا (آل عثيمين) وللمسلمين عزاً ونا.. بالذي :

حل مكاناً كادت العين دونه تكل.. فلا تدري بأيانا تقعد
ملكيت مقاليد القلوب وإنها لمن دولة الدنيا أعز وأخلد
.. عجبت لقلب واحد.. كم تفجرت به من عيون حولها الناس رقد

.. اللهم أجبر مصيبة (الجميع) فيه ، وأخلف على المسلمين من بعده بالخلف الحسن ،
اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله واغسله
بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من
الذنس ، اللهم أدخله مدخلاً كريماً في الجنة ، وقه من عذاب النار ، ومن عذاب
القبر ، وتقبل منه.. ما قدم من صالح الأعمال ، ذا الذي - فيما نحسب - :

محاسنه جلّت عن الحصر وازدهى بأوصافه نظم القصائد والنثر

.. وارفع اللهم (درجة) شيخنا في المهديين ، وأخلفه في عقبه في الآخرين
واجعلنا وإياه من ورثة جنة النعيم ووالدينا ووالديهم وعلماءنا وأخواننا وجميع
المسلمين آمين.

(١) للعابد الزاهد: إبراهيم بن أدهم - رحمه الله-

.. رحمك الله أبا عبد الله، وإني لأذكر، .وهي إن شاء الله من عاجل بشرى المؤمن كما أخبر بهذا الصادق المصدوق: ﷺ - حين أولت رؤيا لأحداهن ب : (أن هذا الذي في الرؤيا مفضور له ومقبول حُجّه)، ثم قالت : (رأيتك أنت^(١)) .. يا شيخ، أجل:

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾ (آل عمران ١٥) - .. بلغنا الله ذلك وإياه،
ووالدينا-

(٣) مآثره :

مضى (الشيخ) في سجل الخالدين، من علماء المسلمين - إن شاء الله - ،
مضى إلى رب عدل رحيم، رحمن كريم جواد.. فما أحرنا أن نقضي أثر ما ترك/
المراء ليس بـ (أعوام) يعيش بها لكنه عمر من ضحى، ومن بذلا^(٢)

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ ﴾ (المجادلة ١١) .

.. لقد عظم الله شأن أصحاب العلم، وجعلهم أهلاً لخشيته كما قال :
﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر ١٧٨) .

قال يحيى بن معاذ : (على قدر شغلك بالله يشتغل في أمرك الخلق).

(١) فأجهش بالبكاء .. رحمه الله .

.. وقفة : (الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره):

عن المروذي قال : أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله (أي الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة) - وكان رجلاً صالحاً - فقال : (إن أمي رأته لك مناماً ، وهو كذا وكذا ، وذكر الجنة) ، فقال : يا أخي إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا ، وخرج إلى سفك الدماء ، ثم .. قال : الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره .. كتاب (سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٧) -

(٢) د. حسن القرعاوي .

.. ويُروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه ذكر (أن جنود الشيطان قالوا له : يا سيدنا أنك تفرح بموت العالم أكثر مما تفرح بموت العابد؟! فقال: نعم دعوني أرىكم فذهب إلى عابد من العباد مشتغل بعبادته ليلاً ونهاراً، فسأله فقال : أيها الرجل هل يقدر الله تعالى أن يخلق رباً مثله؟، هذا العابد جاهل، فقال العابد : لا أدري!! فهذه الكلمة أصبح كافراً لأن من شك أن الله يقدر على أن يخلق مثله، فهو كافر، وإن قال نعم، فهو كافر لأن الله تعالى ليس كمثل شيء، ثم قال : هلموا فذهب إلى عالم عند أصحابه يضحك معهم ويمزح إليهم وهم مسرورون بجسلتهم معه، فقال له : أيها الرجل هل يقدر الله تعالى أن يخلق مثله؟ فقال : كذبت لا يمكن ذلك هذا أمر مستحيل ، فإن المخلوق^(١) لا يمكن أن يكون مثل الخالق ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى ١١) فقال الشيطان : انظروا كيف كذب الأول بجهله، وانظروا كيف اعتمصم الثاني بعلمه وكيف اهتدى بكلمته أناس كثيرون).

وصح عنه ﷺ أنه قال : {فضل العالم العابد كفضل القمر على سائر الكواكب} ^(٢).

والعلم الشرعي - المعتمد على الوحيين^(٣) (الكتاب والسنة) - من أجل العلوم على الإطلاق، وحملته هم السراج والضياء للناس وهم العدول الثقات الذين

(١) أي أنه - وبهذه القدرة الإلهية - أصبح مخلوقاً!

(٢) - .. والنصوص في هذا معلومة مشهورة -، وكما سيأتي يأتي ص ٢٤١ فما بعدها .

(٣) ليُعلم: أن ليس هناك (نص) معصوم أو مقدس غيرهما، ومهما بلغ العالم من مقام أو مكانة علمية، فإن قوله قابل للأخذ والرد.. من خلال قياسه على موافقته الكتاب والسنة.

يبينون الدين للناس - وهم الحماة له والذابين عن حياضه، وقد قال ﷺ : { العلماء ورثة الأنبياء } - من هذا المعنى جاء قول إمام دار الهجرة (مالك) رحمه الله :
(لقد نبا إليّ أن العلماء يُسألون عما يُسأل عنه الأنبياء).

وما ذاك إلا لتقل الأمانة وهول التبعة، وأن التفريط بشيء منه .. لا يوازيه أي تفريط.

.. روى الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة عن أنس ﷺ قال: قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر ﷺ : " انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول ﷺ يزورها فلما انتهينا إليها بكت فقالا لها : ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، فقالت : ما أبكي ألا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها".

و / الحق : أن رحيل العلماء نبأ مؤلم، ونذر خطر على إجمال وضع الأمة.
قال (د. عائض الراددي) في تأبين فقيدنا ابن باز رحمه الله - :

(رحيل العلماء ليس موتاً جسدياً، بل هو موت لعلم حملوا أمانته إبان حياتهم، ولن يبقى منه من بعد موتهم إلا ما سطره في كتاب أو علموه لطلاب).

= فأقوال العلماء يُستدل بها.. ولا يستدل بها كذا أوجز ابن تيمية، قال علي ﷺ : (أعرف الحق تعرف أهله) وأوجز أبو حنيفة : (القرآن والسنة تشريع، وأقوال الصحابة نختار من بينها، وما بعدهم فهم رجال ونحن رجال).

ثم تنبيهاً: لا يقال (السلف) هكذا مطلقة^(*)، بل تُقيد بالصحابة رضي الله عنهم، أي (لا يقدم رأي - من غير نص - .. على قول صح عن أحدهم)، قال ابن القيم - في (أعلام الموقعين) ١/ ١٤ و ١٥ - :
" وكما أن الصحابة^(**) سادة الأمة وأئمتها وقادتها، فهم سادت المفتين والعلماء ".
^(*) - ولذلك يراعي من يقول بهذا اللفظة إلى مدلول: وتابعيهم (أي : الصحابة) بإحسان -
^(**) - وهم من حمدهم المولى : هامش (١) ص ٢٢٦ -

وفاء .. لمن (وفى)

وما أحسن من قول الأديب " د. إبراهيم التركي " :

(لمحات مرت وعبرات.. والأمة تنتقل من حزن إلى حزن وتُزرأ - كل آن -
برحيل عَلم، وتواري قمه.. وها هو آخرهم شيخنا وأستاذنا محمد العثيمين يلحق
بهم..!، لقد فقدت الأمة خلال السنوات الأخيرة الكثير من " العلماء والعاملين
والمبدعين " بمختلف الحقول: " المعرفية والثقافية " ، ولن يعوضهم ندب أو يسلوهم
نحيب ..) ، قال علي الجارم :

تدلى عهدهم وبقيت وحدي أقلب طرف عيني في السماء
رثيتهم فأدمى الحزن قلبي فهل ندب يخف إلى رثائي

ومع هذا فلا ينبغي لأحد أن يقول : ذهب العلماء ، وذهب الصالحون ولم يبق
في الناس بركة ، بل نقول: بقي فيهم علماء خير وصلاح إن شاء الله ، فقد صح
عنه عليه الصلاة والسلام عند الإمام أحمد وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال :
{ مثل أمتي مثل المطر ، لا يُدرى في أوله الخير أو في آخره } ، فما زال في هذه
الأمة ولله الحمد: علماء خير وصلاح وعقيدة ، فهي أمة مباركة^(١) أينما كانت ،
لأنها تُعطي الخير وتشر الصلاح في أرجاء البلاد.

والدين - الإسلام - رسمه الشارع وحفظه ، وهو لا يقوم على
الأشخاص وإنما تكفل الله به إلى يوم الدين^(٢) ، ب ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

(١) - كما هي (مرحومة) .. من لدن كريم العطايا ، جل وعلا -

(٢) .. وانظر إيضاح ما يأتي هامش (٦) ص ١٩٧.

لكن :

أو .. إنما عزاؤنا - بعده - بما ترك من أثر علمي " مكتوب " ، أو " محفوظ" ..

وكان أول كتاب طُبِعَ له قبل ٤١ سنة - تحديداً (١١/٨/١٢٨٠هـ) - :
" تلخيص الحموية " .. ثم توالى كتبه حتى بلغت ٤٢ كتاباً .. ومن أشهرها:
" مجالس رمضان " و " القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی " و " الخلاف
بين العلماء أسبابه وموقفنا منه " .. بالإضافة إلى " المجموع الكبير من الفتاوي "^(١)
(١)

وتمتاز مؤلفاته " كما يثري تلميذه وليد الحسين " ب (وضوح الألفاظ ووضوح
في المعاني ، بعيدة عن التطويل الممل ، والتعقيد والاختصار المخل ، استدلالاته
مدعومة بالأدلة الصحيحة ، والتعليقات والأقيسة الصريحة ، مع إبداع في التبويب ،
وحسن في التقسيم ، فيما يحتاج إلى تقسيم ، إلى غير ذلك من الأساليب البديعة
التي يحلي بها الكتاب حتى يخرجها في أروع وأحسن لباس) .

يا شيخ العلوم أبو الأشياخ مجتهد فذُّ^(٢) أريب .. نجيب وصفه دُرر^(٣)
(٣)

.. لم يثنه ملل عن كل مكرمة يدعو بها .. وكذا لم يثنه كبر

(١) - وقد صدر المجلد الأول منه -

(٢) الفذ : أي الذي ليس له مثل.

(٣) د. سعود الشريم - في رثاء (ابن باز) رحمه الله - وهي توازي بمعانيها مناقب (الفقيه).

أما ما لهم / فقد قال ﷺ : { من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً } .

(٤) اللقاء الوحيد :

.. كنت كلما أولي وجهتي نحو منشأى (بريدة)، أوميءُ بطرفي إلى "عُنيزة"
- مدينة الشيخ - وقاطنهما، .. وخاطري يردد مع الداعية (د. عائض القرني) :
إذا افتخرت (بُرَيْدة) بمن فيها يكفي (عُنيزة) شيخنا فيها

ف حرصت - كغيري من محبيه - على أن أحظى برؤياه عن قرب فلم أفز
بذلك إلا ذات مرة .. فيها العجب من الشيخ ونهجه /

فقد صليت معه ذات مرة بمسجده (الجامع الكبير) - وكان قد فاتني
معظم الصلاة - وما أن انتهيت التفت للمحراب لعلي أستطلعته فلم أجده، سألت
عنه أحد تلاميذه، فقال لي هاهو وأشار إليه وقد بعد كثيراً فاستحثيت الخطى سريعاً
حتى أوازيه، وبين (الجامع) وبين منزله.. مسافة بعيدة (بقياس الأقدام)
- التي ظل فقيدنا محافظاً على قطعها أو يذرعهما بقدميه: غدواً ورواحاً - وإذ مع
الشيخ أحد تلاميذه يقرأ عليه من كتاب وهو يدقق، أو يدون ما يبدي له الشيخ
من ملاحظات، فما إن دنوت لأسلم عليه إلا وأحسّ بي.. فتوقف (وإذا شخصه
وسحنته البهية تذكرك بذلك الرعيل الذي لا يوازيه من مُشاهدة معظم الواقع ..
إلا التخيل!) .

وفاء .. لمن (وفى)

سَلَّمْتُ، فرد بأجمل قول مع أحسن إطلالة، ثم بعد السلام سأل، فلم أردف غير : إني / أحبكم في الله، وسعيت لأحظى بالسلام عليكم والتشرف بمعرفتكم والتقرب - لله - من شخصكم ، فقال: حياكم الله، ثم استرسل الخطى وهو مُمسك بيدي كإشارة.. لاستضافتي في بيته، ولكني اعتذرت مكتفياً منه بكرم السلام..

(٥) أخيراً :

.. يحسن بي وقد أدلهم بفؤادي عمق المصاب، إذ (إن فجع المصيبة يحبس الفكر عن إدرار الكلام الخليق بالذكر)، أن أورد - ما يخفف - قول الأديب حمد القاضي: ^(١) (إنه كما تجلت طمأنينة الإيمان وسكينته في حياة الشيخ ابن عثيمين أثناء صحته فقد تجلت خلال مرضه أكثر.

لقد روى لي أكثر من أخ كريم أن الشيخ - رحمه الله - كان عندما يصرون عليه من أجل الذهاب إلى المستشفى كان لا يرغب الذهاب إلا بعد الإلحاح عليه وكان يرد " لعني اشتقت إلى لقاء الله " بل حتى حاولوا ثنيه عن السفر إلى مكة المكرمة في رمضان وهو في وضعه الصحي الحرج رفض ذلك مؤمناً ومشتاقاً إلى لقاء ربه، ونسأل الله أنه كما أحب لقاء ربه أن يكون الله أحب لقاءه، مصداقاً لحديث المصطفى ﷺ).

.. مقام الوالد الحبيب : أبكيك - وقد كثر الباكون، ف: العيون تدمع، والقلوب تحزن.. ولا تقول - بعد - إلا ما يرضي الرب ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (القرة ١٥٦):

(١) .. في صحيفة - (الجزيرة) عدد ١٠٢٤٧ -

وقد أحسن في رثائه (د. سعود الشريم) ب :

.. أتاه ما يجوب كلَّ حي
مدمد الصالح يا القومي
لو أننا نقر في فداء
لكنه المات ليس يجدي
آل عثيمين ألا فصبراً
حبر وبحر للجميع رحبُ
بالموت حين يقطع الوتينا
لقينا في المصاب ما لقينا
فيقتدى بالمال والبنينا
فداؤنا المكفن القطينا
عزأؤكم مصابنا عزينا
نراه إذ نراه مستتبينا

وأختم.. بما قال (د. العشماوي) راثياً أحد أعلامنا - الشيخ علي الطنطاوي

رحمه الله:-

رحيل أحبابنا نار مؤججة تُذيب أكبادنا وجداً وتصليها

لكن نقول - ما ينفعه - :

رحم الله " أبا عبدالله " جزاء ما قدم، وألهم " عبدالله وإخوته "، وأستاذينا:
شقيقه: (الدكتور عبدالله) والشيخ عبد الرحمن الصبر وجزاهم الأجر،
وجمعنا به في مستقر رحمته، والحمد لله، وصلى الله وسلّم على رسول الله.



هام (الرحيل) (*)

يبكيك (صفصاف) ^(١) الشام ووردها ويبكيك زهر الغوطتين، ودّمّر ^(٢)
الحمد لله القائل ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد ٣٨) والصلاة والسلام
على أسوة ^(٣) الصابرين... وبعد

لم تكذ تجفّ المآقي على رحيل عالم الأمة "ابن باز" ومن قبله فقيد العلم
(ابن غصون) - وبعده (محمد ناصر الدين الألباني) ^(٤) عليهم شآبيب الرحمة..
بكينا عليهم.. وإن كان بكاؤنا على أنفسٍ لله منقطعات ^(٥) -

حتى تبعمهم علم.. قل في زمنه نظيره ^(٦)، إنه: فضيلة "فقيه الأدباء.. وأديب
الفقهاء" ^(٧) الشيخ، والعلامة والموسوعي:

(*) نُشرت بالجزيرة .. عدد ٩٧٧٠ وتاريخ ١٤٢٠/٢/٥هـ - وأيضاً لعنوان المادة : انظر هنا هامش (٤) -
(١) نوع من الشجر يكثر نمائه على السواقي، بخاصة نهر (بردى)، وخضارة مغرٍ للناظر.
(٢) نزار قباني.
(٣) انظر ثانياً رابعاً.. ص ١٠٢.
(٤) كتب (د. عبد العزيز العسكر) - الجزيرة عدد ١٠٠٥١ - :

(.. وفي الوقت الذي ما زالت مدامنا لم تجف على شيخنا ابن باز، جاءت الأخبار متتابعة في وفيات
علماء آخرين رحلوا عن هذه الدار وكأنه عقد انفرط نظامه، وتناثرت حياته، فهذا الطنطاوي رحمه
الله في ساقه، ثم الشيخ فلانة الأول في مكة المكرمة والثاني في المدينة المنورة، أعلام هدى ورجال
علم ودعوة، ثم تبعمهم في دروب المنية الشيخ القاضي عطية سائيم، والشيخ مناع القطان، ثم لحق بهم
الشيخ الزرقاء ثم تناقلت الأخبار وفاة عالم الحديث و خادم السنة وداعية التوحيد في بلاد الشام الشيخ
المحدث محمد ناصر الدين الألباني، وحسبك بوفاته مصاباً جلالاً إذا عرفت ثقله على أهل البدع ودعاة
الضلال).

(٥) .. كما قال (شاعر النيل): حافظ إبراهيم - ومعنى عجز البيت: أي إنقطعت تلك الأنفس عن الدنيا
ومتاعها.. فقط : لله، ولدينه.
(٦) .. ملحظ - لا بد منه :

إن دين الله محفوظ وشريعته باقية يحملها البقية المباركة من علمائنا الإجملاء، فهذه الأمة بحمد
الله أمّة معطاء - إذا مات فيها سيد قام سيد
فأهل العلم بحمد الله في بلد الحرمين الشريفين متوافرون، وإن تأييد وتشجيع ولاة الأمر لهم مما
يستحق الإشادة والتقدير، ففي بلادنا ولله الحمد تعانق سلطان الحاكم مع سلطان العالم في نسيج
متربط وأنسجام متكامل، لم يشهد التاريخ المعاصر له مثيلاً من خطبة الإمام (د. عبد الرحمن
السديس) ..

(٧) كما يصفه بهذا : الداعية الكبير الشيخ (د. يوسف القرضاوي) - حفظه الله -

(علي مصطفى محمد الطنطاوي) - ١٣٢٧هـ / ١٤٢٠هـ - رحمه الله رحمة واسعة.

- نسبة إلى منبعه (طنطا) :

جزى الله (طنطا) كل خير ورحمة فقد أنجبت من للمكارم ينجب-

من أسرة علم ودين، فابوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من أهل العلم، وجده الشيخ محمد الطنطاوي عالم كبير، وخاله الأستاذ محب الدين الخطيب الكاتب الإسلامي الكبير والصحافي الشهير، فلا غرو أن يكون من أشياعهم.. وهم هذه السُّلالة!

- أجل :

أنت أديب العصر، والدهر راغم وأنت عجيبٌ كل ما فيك معجب
.. وحياك كل الجيل يا خير كاتب يُراعك^(١) سحر في البرية يخلب-

وقد ولد - رحمه الله تعالى - في سوريا .. دمشق ٢٣ جمادي الأولى عام ١٣٢٧هـ الموافق: ١٩٠٩م. وتعلّم فيها حتى تخرّج من جامعتها في الحقوق والآداب عام ١٩٣٣م، وتدرج في الوظائف التعليمية والقضائية حتى بلغ فيها مكانة عالية. وفي عام ١٩٦٣م قدم الشيخ إلى مهبط الوحي - السعودية^(٢)، فأخذ يُدرّس في

(١) أي: قلمك .

(٢) على يد أحد أحياب أبي: الشيخ (عبد العزيز المسند) رحمه الله... انظر عنه فيما سيأتي (ثانيا ص ٢٩١) - .. مع (مناع القطان) رحمه الله، و(عبد القدوس أبو صالح) حفظه الله، وغيرهم - .. وهذه من حسنات هذا العزيز (عبد العزيز).. التي نسأل الله أن تكون في موازينه- وتأكيداً: في ص ٢٩٢-

وفاء .. لمن (وفى)

كلية اللغة العربية وكلية الشريعة في الرياض، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة في مكة المكرمة، ثم تفرغ للعمل في مجال الإعلام.

هذا، وقد أشتهر فقيدينا : بسعة أفقه، وكثرة تجواله، وحضور ذهنه وذاكراته القوية.

ولذلك تجيء أحكامه متمسمةً بصفة الاعتدال، بعيدة عن الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط.

وكان له برنامج إذاعي يومي بعنوان (مسائل ومشكلات) وآخر تلفزيوني أسبوعي بعنوان (نور وهداية)^(١).

وقد بدأ الشيخ علي الطنطاوي جهوده الخيرة في مجال الدعوة الإسلامية منذ عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م وذلك من خلال الدروس والمحاضرات والكتب والمقالات^(٢) والمؤتمرات والأسفار^(٣)، ومن خلال الصحف والإذاعة والتلفزيون وتقلبت به الدنيا وهو ثابت لم يتغير ولم يتقلب، وهذا هو التأديب الصادق من ديننا لأهله ولعل هذا شاهدٌ: على صدق توجهه وقوة عزمته، فقد أوقف قلمه ولسانه لمبادئ ما حاد عنها.. كما قال :

- (١) ... يُقدّم بعد صلاة الجمعة (مباشرة) - واستمر ما يقارب العقد الثالث -
 - (٢) بل.. ذكر - رحمه الله - في كتابه (صور وخواطر) .. أنه قد بلغ ما كتبه حتى ذلك العام الذي خطه ١٩٦٢م أكثر من عشرة آلاف صفحة، فما بال.. حتى وفاته - بعد ذلك التاريخ بأربعين سنة كم بلغ - (بارك الله لنا في ما ترك من علم، وجعله في موازينه).
 - ولا غرو لذوي الهمم - مثله -، كان الإمام المقرئ الشيخ عبد الباسط عبد الصمد - يرحمه الله - (١٣٤٦/١٤٠٩هـ) قد حفظ القرآن ولم يتجاوز العاشرة من عمره - فليعتبر شباب العصر - بل وأنقن القراءات السبع ولم يتجاوز أربعة عشر عاماً.
 - (٣) وأوجز عنه "بحي المدخلي" تحت عنوان: (عاش مجيداً ، ومات حميداً):
- "توفي مؤخرًا الأديب الشيخ علي الطنطاوي، هذا الرجل الذي جال الدنيا مشرقاً ومغرباً وشهد الحرب العالمية الأولى والثانية، وتولى عدة أعمال في غاية الأهمية، وكانت له اليد الطولى في إصلاح بعض الشؤون العلمية والقضائية في بلاده سورية .." في المجلة العربية - عدد ٢٦٧-

" لدي أشياء ما بدلتها قط، ولن أبدلها إن شاء الله، وهي : أني حاربت الاستعمار وأهله وأعدائه وعبيده دائماً، ومجدت العربية وسلائفها وأمجادها وبيانها دائماً، وكنتُ مع الإسلام وقواعده وأخلاقه وآدابه دائماً"^(١).

ثم .. ولعل أكثر ما يوافقه في هذا (المعنى).. قول علي الجارم - رحمه الله :-

رُبَّ مَنْ كُنْتُ فِي الْحَيَاةِ لَهُ حَرْباً شَقَقْتُ الْجِيُوبَ عِنْدَ غِيَابِهِ
وَتَحَدَّثْتُ شَمْسَهُ، فَإِذَا وَلَّى تَمَنَيْتُ لِمَحْمَدٍ مِنْ ضِيَابِهِ
لَمْ يَفْزَ مِنْكَ مَرَّةً بِثَنَاءٍ فَنَثَرْتُ الْأَزْهَارَ فَوْقَ تُرَابِهِ

(وقد ألف عشرات الكتب^(٢)، وكتب مئات المقالات^(٣)، وأذاع آلاف الأحاديث، والتقى بمستويات شتى من البشر تتفاوت وتتباين في المستوى الاجتماعي والثقافي.. كما وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في دورة عام : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)^(٤).

(١) كتابه (حديث النفس)، ص٣.

(٢) .. ف : مؤلفاته تفيض على الثلاثين كتاباً - انظر : صحيفة/ الرياض عدد ١١٣١٨ -

(٣) قال عنه أستاذه^(*) محمود ياسين - في كتابه (رجال من التاريخ) - : (له في كل مجلة مقال^(*))

ممتع يدل على نبوغه ويُشعر بتفوقه، هذا إلى ذكاء حاد، وجراءة نادرة، واطلاع واسع وغيره على

الأمة)، .. وللعلم فإنه وفي عام ١٩٥٨م.. كانت أول مقالة تُنشر له .

- (*) وهنا ملحظ أستاذ.. يشهد لتلميذ، فهذه على ما أظن : أعلى الشهادات، بل وأغلاها !-

(٤) - (الجزيرة) باختصار - عدد ٩٧٦٠ -.

وفاء .. لمن (وقى)

ليفخر اليوم قوم باليراع.. ولا خوف عليهم.. فمن يخشونه ذهباً^(١)
وليسم من شاء بـ "الإنشاء" لا عجبُ مضى الذي كان من آياته عجباً

(هذا) الكاتب والباحث والعالم والأديب والناصح المشفق.. الرقيق، الذي
كان: سمح الطلعة لئن الجانب عذب الحديث لطيف العبارة دمث الخلق قريب
من القلب، بأسرك بكلامه، ويمتلكك ابتسامه، ويجمعك أمامه :

أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمة وفرقت بين النور.. والظلمات^(٢)
وخفت مقام الله في كل موقف فخافك أهل الشكّ والنزعات
وأرصدت للباغي على دين أحمد شُبابة يرَاع ساحر النقثات

فاسمح - أيها القارئ - لقليل من لا يسعفه التعبير؛ لأنّ من فقدنا فوق
قاموس مفرداتي، وأعلى من جُمَل كلماتي، وأجلّ من مخزون جعبتي..، أو منشور
حفظي.

لكن ، كما قال أمير الشعراء^(٣) :

نرّوع.. ما نرّوع ثم تُرمى بسهم من يد المقدور آتٍ

إذ: بلغني خبر رحيلك - كفاجة - ، فكان من عظم مصائب هذا الزمان..
فما حالنا - كمسلمين - يسر قلباً مؤمناً .. وإن جلبت مصيبة فقدك من نفع:

(١) حفني ناصف.

(٢) حافظ إبراهيم -.. راثياً إمام عصره (محمد عبده .. بن حسن خير الله)، ١٨٤٩/١٩٠٥ - رحمهما الله -

(٣) أحمد شوقي.

واسمح لي بهذا التجاوز: فهي (إراحة) قلبك^(١)، كما في الأثر: (الموت راحة للمؤمن)- الذي طالما اهتم بهموم إخوانه - في الله - وتجرّع غصص^(٢) ما يقع عليهم! من الجراح وآلامها التي لا تبرح جسد عالمنا الإسلامي، وكفُّ لهمل عين.. طالما ذرفت على مآسي أمتها..

واسمح لي بهذا المقطع الذي يفسر مرادي: قال "د. عائض القرني" - رثاءً في الرنتيسي: (أستودعك الله- يا عبد العزيز- الذي لا تضيع ودائعه، وما عند الله خير وأبقى، لقد ذهبت بصفقة رابحة وكفّة راجحة، ونجوت من رؤية واقعنا المرير، وحالنا المزري، وهزائمنا المتتابة..) الخ.

.. وإن لم نعتصم بعد الاعتصام بالله بالصبر على فقذك، خالفنا مالك الأمر سبحانه وتعالى، فخير أن نقول ما يرُدُّه المحتسبون : ﴿ إِنَّا^(٣) لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٥٦) .

.. ومما قاله د. عبد الرحمن العشماوي - راثياً.. إياه - :

مضى (عليُّ)، أديب الفقه، شيعة حُب عظيم وآلام نُداريها^(٤)
وشيعته نفوس طالما شربت من نبع حكيمته ما كان يرويهَا

(١) وأنت - كما قال البهاء زهير- :

ما فارقتنا طوعاً ولكن

دهاك من النية ما دهاكا

(٢) .. وأنظر في تعليل هذا، ص ١١٩ .

(٣) .. وأكرر هنا، قول زكي السالم :

على الرزايا ... ففيه راحة الجسد

(إنا إلى الله) .. قول نستعين به

(٤) صحيفة (الرياض) عدد ١١٢٣٧ .

وشيعته قلوب نبضها أمل
مضى الأديب العصامي الذي احتقلت
مضى، كأن لم يصافح كفه قلم
يا مازج العلم بالآداب في زمن
عزّت بك اللغة الفصحى، وكنت بما
رفعت من (قصص التاريخ) ^(١) ألوية
.. ودّعنا في زمان ليل غربته

في الله أن يسكن الجنات باغيها
به البلاغة وازدانت روايبها
عذب يذود عن الفصحى ويحميها
آدابه انسلخت مما يزيكها
أوتيت من فكر الصافي تُغذيها
ما زال يقصر عنها من يباريها
يكاد يلتهم الدنيا وما فيها

عَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ عَلَيْنَا الْفِرَاقَ كَمَا حَلَّ لَنَا الْإِشْفَاقَ ١، فكم بالجيل يأتي مثلك
جيل، وكم بالقرن يرفد لنا بمثلك الزمن .
أُعَلِّمِي :

كم استتفرت ذاتي - مسرعاً - بعد صلاة الجمعة ^(٢) إلى (الرائي) ^(٣) منتظراً
منتظراً إشرافكم، ومتشوقاً لحديثكم.. ومتلهاً لعلمكم - لننهم من درركم
ومستمعاً لنصحكم.. -

و.. لن أعدّ مآثرك.. فهي أشهر من نار على علم، ولا عن كتبك .. وفي كل
علم لك به قلم، ولا عن دروسك.. فقد أبلغها (سيف ذي الزمن) ^(٤).

أنا لا أكتب عنك مُعَرِّفًا، .. فأنت والله معروف لا يُعَرَّف، ولا أرثيك بهذه
الكليّات، فليس فيما يُذكر تُشَرِّف.

.. كذا، إذا أبيض إيناع الحياة على وجه الأديب أضاء الفكر.. والأدب ^(٥)

(١) عنوان كتاب له - من عدة مجلدات -

(٢) أقصد وقت برنامج الناجح (نور وهداية) - إذ كان يُعرض بعد صلاة الجمعة.. مباشرة -

(٣) تعريب الفقيه رحمه الله لاسم (التلفزيون) - .. وهنا ملحظ لأبد منه: قال (أبو الفضل الوليد)
رحمه الله : (يجب نبد الكلام الأعجمي حين وجود ما يُقابله في العربي..) -

(٤) أجهزة الإعلام.

(٥) عبدالله البردوني.

وأعود لاعتذر من مقامك، فلست والله نذراً لأكتب عنك، وقد نُهر مثلي: من الإمام الغزالي رحمه الله، ب: (لا يكتب عن الأئمة، .. إلا إمام).
ومعنى طرده (عمر أبو ريشة) رحمه الله:

فليس ينالني إلا مثيل يطلّ عليّ إطلال السحاب

فأنت أسمى من هذه الأسطر الدنيا.. عدى شيء لك في القلب أبان عنه ^(١)
- برغم قوة إقبال المعابر لـ / شموخ من فقدته المناير وغُيب في المقابر - .. حاجة في
نفس يعقوب عسى أن يكون (القلب) .. أو القلم عنه: قضاها!..

فعزأؤنا لأنفسنا التي فقدتك، وجميل صبرنا على رزتك الذي ألمّ بنا..

ثم أخصّ بالعزاء آلك - .. وفي مقدمتهم "بناتك" ^(٢) - وذويك قائلاً لهم :

صبراً بني " عليّ " عنه تكراً إن العظيم على العظيم صبور ^(٣)

ونختم القول بما يرضي ذي الطول .. سبحانه :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٥٦) والحمد لله من قبل ومن بعد،
والصلاة والسلام على رسول الله محمد.

(١) وقد أحسنت صحيفة الجزيرة - عدد ٩٧٢٧ - حين خصت ملحقها (الأدبي) لفضيلة فقيدها الغالي رحمه الله.

.. كما وخصت له مجلة (الأدب الإسلامي) الفصلية.. عددي (٣٥/٣٤) - وهذا : من بعض دين له علينا-

(٢) .. وأذكر له حينما يتلو هذه الآية : ﴿ يَهْبِلُنْ بِنَاءُ إِنَانَا وَيَهْبِلُنْ بِنَاءُ الذُّكُورِ * أَوْ بَرِّوْجُهُمْ ذُكْرَانَا وَإِنَانَا وَيَجْعَلُ مِنْ بِنَاءِ عَقِيمَا إِبْنَهُ عَقِيمَا إِبْنَهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى ٤٩، ٥٠) يقول : أنا من الصنف الأول .

وذلك : أن ذريته - رحمة الله - إناثٌ (حفظهن الله، وبارك فيهن).

- وهذا (ابن إحداهن) أخرج كتاب عنه بعنوان (هكذا ربنا جدي)-

(٣) المتبني - بتصرف .

و.. تحقق (لك) العليم (*)

أو (المقعد .. الذي أنهض هممنا)

أحمد ربي على ما شاء وقدر، وأصلي وأسلم على نعم من جاهد وصبر.
- لأن فاتنا عين الحبيب.. فإنما بأثارة الحسنَى.. اكتفى من اكتفى -

رحل .. إمام المجاهدين في عصرنا، أو رافع الراية في زماننا، بل وفخرنا - أو عزنا - في زمن قلَّ به مثله، وعهد ملئ هواناً^(٢) .. وأحزاناً وأشجاناً / على أمة محمد ﷺ التي تكالبت عليها الأمم - الأعداء .. حتى قلَّ فيه الناصر، وتمكن منها القاهر -

.. هو / أبو عبد العزيز (أحمد بن إسماعيل ياسين) ١٩٣٦ - ٢٠٠٥ م
المولود في (الجوره) في أرض عسقلان التاريخية - من قطاع غزة - في يوليو من عام ٣٦ م.. ثم أُصيب في مطلع شبابه بحادثة في لعبة (الجمباز) شلَّ على أثرها شلل كامل .. فكان - هذا الحال - : أن أو قد به نار الغيره على وطنه .. وأفرع في ذاته ساق أشمخرت به .. حتى غدى غصنه ك (شوكة) تُحشرج في جوف المغتصب (المعتدي)، حين أسس أو كان له السبب في تأسيس حركة (حماس)^(٣) ..

(*) حقيقة : أني بعثت المادة : لأكثر من مطبوعة - لكن (ربما) سبباً ولا أجزم بالقول:

أن (الحرب على الأرهاب) .. أتت أكلها (المعنوي) .. في الحول عن نشرها..-
(٢) خوفاً.. أن يكون (السبب): أن بلغ بنا الحال.. مدلول هذه الآية ﴿ فَلَمَّا نُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾^(١) أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً فَيَذَاءُ هُمْ يُثْبِتُونَ ﴿٤٤﴾ (الأنعام) - وانظر تفصيلاً لهذا.. في كتاب (ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين) لأبي الحسن الندوي، بل إن الدكتور (عبدالله العثيمين) حديثاً: كتب مادة - من عدة حلقات - عنوانها ب: (من ماذا نشأ؟) - لكثرة جراح الأمة -
(*) ومما قاله ابن القيم: قد يعاقب المرء فلا يحسّ بهذا، وأشدّه أنه قد يعاقب.. بما يحسبه نعمة أتته.. الخ -

(٣) .. وقد خلفه عليها .. والذي نحسبه (الشهيد): "د. عبد العزيز الرنتيسي" في قيادة حماس..، إلا أن ورثة (قتلة الأنبياء) طالته بعد بضعة أشهر من استشهاد سلفه - فقضى نحبه إثره بقليل - ليلحق به.. إلى الدرجات العلى بإذن المولى الأعلى.. على يدي نفس المجرم "شارون"
وذكر مما نُقل لي أن الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - قوله عن شارون (أني لأرجو الله أن يصاب بمرض يتهنى معه الموت فلا يجده) وما هو الآن بغيوبة أحسب أن لو نطق لتمنى معها الموت.. ولعلها (كرامة) له .. أن أجيب أمنيته، .. أو / والله أعلم أن المولى أجاب دعوته، كما (برّ بدعاء سعيد بن جبير على فاسق ثقيف) - كذا قال الحسن البصري -

- رمدٌ تفعل هذا بالعدي .. كيف لو عُفيت من ذاك الرمد!! -

وصدق (به) المثل : " كل ذي عاهة .. جبار " .

ولم .. يكفيهم لنزع فتيله (المتوقد) إلا في الخلاص من همته!

أو هكذا أيقنوا: بأنه - رحمه الله - لن يجدوا .. أو يُجدي معه جدوى، إلا في

القضاء عليه.. وهذا ما فعله (الجبناء)^(١) - وبعد ما بيّنوا له - :

حين أغاروا عليه .. صباح الاثنين وهو عائد من صلاة الفجر ، فكان له

- من هذا - (ما تمنى) ، ليلقى ربه شهيداً^(٢) بإذنه تعالى ، . ودُفن - بعد تشييعه

(ظهراً) - في مقبرة الشيخ (رضوان) في " غزّة " .

شيخنا :

.. لا زال يرنّ بأذني صوتك المتهدج (المجهد) إثر كل مثلمه تُصيب أرض

الأنبياء بخاصة: (بيت المقدس)^(٣) ، ومسرى^(٤) أكرم الرسل ، وخاتمهم

- صلوات ربي و سلامه عليهم جميعاً -

(١) ف (إن من أخافهم شيخٌ مُقعدٌ - كما يقول الكاتب " تركي السديري " - كيف سيواجهون توالد " النمر " الساخطة وهي تتقافز من بطون الفلسطينيين.. إلى حيث يموت كل غاصب!!).

(٢) .. هذه نقولها من باب الرجاء ، وما نحسب (له) من ظاهر صنيعه، لأن إطلاق لفظ الشهيد على شخص بعينه هو شهادة له بالجنة وهذا فيه كلام لأهل العلم، وهناك فتوى في هذه المسألة للشيخ محمد بن عثيمين بالمنع من إطلاق هذا اللفظ، وعقد الإمام البخاري باباً في كتابه الصحيح باب : (لا يقال فلان شهيد) - أو قريباً من هذا - ، يبين لنا هذا (أو لعله إستئناساً) من قوله ﷺ : { إن رسول الله يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة } ، كما جاء ذكر هذا الحديث في كتاب (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد -

(٣) .. من : المقدس، وهو : ما يُفصل عما حوله ثم يُحاط بشيء من الهالة والمحرمات.. التي تُحيط وتُحافظ على حرمة - مثلما يُقال عن (الحرم الجامعي) أي: سموه وتوقيره عما يُعتاد لغيره -

(٤) .. كما قال تعالى : { سُبْحٰنَ الَّذِي اَسْرٰى ^(١) بِعَبْدِهِ . لَبَّ اُ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِي اَلْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِي بُرِكَ خَوْلُهُ لِرَبِّهِ مِنْ اَيْتَانِ اِيَّاهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } (الإسراء : ١٠٠) .

وفاء .. لمن (وقى)

وخلف كل نازلة تلحق الأمة أو آلامها ، ك: عويلٌ من أرملة أو ذات متربة..

تسبب بها أو دعمها^(١) .. كل ناعق ﴿ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (غافر ٢٧) .

أبي .. وأبو المناضلين ، ومثار فخر المسلمين ، ومنازة المجاهدين :

نعلم .. ونؤمن بأن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد ٣٨) ولكل أمة حساب ،

ولكل تطاول أمد^(٢) ، فهذا والله ما نسلّم به .. لكنه ﴿ كِتَابًا مُّوجَلًّا ﴾ (ال عمران

١١٥) كم وودنا أن يُنسى لك فيه.. حتى يُنظر^(٣) بصرك بلوغ ما تتمنى ، وتبلغه ما

ترجى.. لكنها مطامح المرء ، التي ترنوا به .. لكل بعيد (.. وما هو ببالغه) إلا ما

شاء الله أن نكون له أهلٌ .. فنحوزه.

.. وكم يحزن المؤمن كل ما تتجدد الذكرى: في إيقاظ الذاكرة الناعسة

عن الحاضر ، والغائمة خلف سحب الأحلام (الذاتية) ، والمطامح ، أو قل المطامح

الشخصية التي تحول المرء عن المدّ إثر أحلام (أمانى) الأمة به – بخاصة ممن ليس

لديه (همّة) .. كهمتك.. - ف :

لا أكذبك أن الموت (وهو حق) تعجز الكلمات عن وصفه .. كحال عجز

المداد عن وصف رحيل مثلك !

ولا أحيروا أو ادّعي التقصير حين أقول: إن قلّمي دون أثرك ، أو إثر من

مثلك ، ولن أقول أني أفقت فقط بسماع نعيك ، فقد نُعيت لنا (سلفاً) حين اقتادك

(١) ك (أمريكا) في " الفيتو" المتتابع.. بعد كل قرر ضد هذا المعتصب (الظالم)!

(٢) كما قال ﷺ : { حَقُّ عَلَى اللَّهِ مَا ارْتَمَعَ شَيْءٌ إِلَّا وَضَعَهُ } - ومن هذا المعنى ، جاء قول عمر ﷺ الذي

تقدم: (ما بعد الكمال إلا النقصان)- ، ويسبق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَكْبَادُ تَذَكُّوْنَ لَهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾

(آل عمران ١٤٠)

(٣) من حديث : { نَظَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ مَقَالًا فَبَلَغَ عَنَّا ، فَرَبَّ نَاقِلَ فَمَقَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ } - الحديث -

إخوة (القردة والخنازير) ^(١) إلى سجنهم .. دون أن يُحرّك هذا الجُرم .. متناً ساكناً - إلا ما شاء الله - ب تشييعك ببعض دعاء : **أَنْ يُفَكَّ أَسْرَكَ**، وأُسرَى المسلمين.

(أحمد) : أحمد لك ربي على أنك - .. بداخل المعمة- لم تطأطىء رأسك الشامخة، ولم تُقدّم (تنازل) قيد أنمله، كحال من أقدم مِمَّنْ ألبسوا تاج (السلطة)! أو تخضع (كفيرك) بمطمع (سلام) ليس به عزٌّ، ولا حتى أثره من ذلك، بل ولم تنهار، كما انهار سواك .. فكانوا دون مستواك.

أجل : فقد طهرَ الله يمينك، حين لم تضعها بيد العدو..

مع يد من اغتروا بأولئك ^(٢) مطمعا لسلام معهم - : مزعوم!

ولم تتضعضع، حين أُجهد من بلغوا شيء من إربة أمانهم، وقد وصف مشروعهم (د. عبد الرحمن العشاوي):

يا مذياع الأخبار قلت سلاماً عالمي، لكنّه (التطبيع)

بخاصة أولئك - أي أصحاب الثقافة المسالمة .. ومروّجوها - : الذين بشروا به، وأطبقوا على كل جهد سواه، بل و(لوو) أعناق نصوص ^(٣) لتوافق مراميمهم.. !
ك: ﴿وَأَنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال ٦١] وشنّعوا على من خالف منحاه.. الخ!

(١) ملحظ: لا يقال: أحفاد أو أبناء / القردة والخنازير ، بل .. إخوتهم.

لأن ذاك الجيل - أي: من تحوّل منهم إلى قردة (الأبناء) وخنازير (الأباء) - قد بادوا جميعاً .. كما قرر جلّ أهل (التفسير).

(٢) .. الذين أنبأنا الله عن عداوتهم ب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُكُمْ حِينَالاً وَذُؤَا مَا عِنْتُمْ قَدِيدَاتِ الْبَغْيَاءِ مِنْ أَوْلِيائِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران ١١٨]

(٣) .. انظر - أيضاً - في كتاب: (آيات مظلومة) لـ "د. عمر القرشي".

وفاء .. لمن (وقى)

فلم يجنوا - بفضل من لا يُحمد على مكروه سواه - سوى /
خيبة بعد خيبات^(١) .. من سلام ليس فيه من اسمه شيء، عدى تنازلات لم
تُبَلِّغهم منها إربة (معشار) ما أصبوا!
(سنألهت وراثنا العرب مؤتمراً وراء مؤتمر، ولن يأخذو شيئاً..) كذا قالوا
في مؤتمر "مدريد" .. وهذا ما نُشاهده منذو ٩٣م إلى الآن - ١٥ عاما - بلا أي .. !!
ولا تظن أن هذا تخميناً، بل هو قول لـ "شامير" - طبق عملياً منه وممن أتى بعده.. إلى اليوم -
.. وكم قلنا وأعدنا على مسامعهم.. لكن لا حياة^(٢) (...) :

لا تُخـدعن بالسلام فإنمساها هو أسلام
أو إنـه كدمية تداعبك قبل المنام
صدقتهم من قبلك فمست في الخيام

.. وربما (ولا أظلم) .. أن غالب أولئك وطأهم لذلك :

حالة الضعف، والفوضى^(٣)، والفرقة، والاختلاف الذي دبّ في المجتمعات
العربية والإسلامية، مما جعلت المثقفين يسايرون الواقع ويستسلمون له،
ويتجاهلون الكم الهائل من شوارد الأشعار والأمثال التي صاحبت الأمجاد
السابقة، وواكبت المعارك والجيوش الضاربة، وأذكت في النفوس حب التضحية
في سبيل الواجب الديني، والأخلاقي، والوطني!

.. مما غيَّب .. خلف المعنى الآخر لـ (الحنكة أو الخبرة) القدرة على ضبط
النفوس أمام الأزمات، فلم يتضح لهم.. إلا معنى سوقه لضعفه، أو قل سقم فهمه:
ذكره زهير بن أبي سلمى عن خلاف السلام بقوله - وهو يعني بيئته (الجاهلية)-^(٤) :

(١) ربما الإشكال الغائب عن أهل (السلطة)، أو قل أولئك : المتسلطين، أنهم لم يعوا (عداوة) أولئك،
وخبثهم ونمط تعاملهم!
فإن اليهود - ومن أجبدياتهم - : أنهم (في دينهم - المحرّف-) : لا يلتزمون بأي معاهدة لم تُكتب بلغتهم
العبرية^(*) !! - (*) العبرية، التي عبر بها إبراهيم عليه السلام (النهر) ، وهي لغة "التوراة" ، ولكن تلك
العبرية التي يستخدمونها غبار ما جاء في التوراة -
(٢) أجل :

قد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تُنادي!

وهاك معاهدة (أوسلوا) التي تعدت عشر سنوات.. بلا أي فتح منها!!
(٣) أو في تشتت القوى، والافتح اليوم أكثر من مليار مسلم، لكن أين: (ريحهم) ١٥- انظر شايا هامش (١) ص ٢٢٦ -
٢٢٦
(٤) التي يموت الإنسان بها، فقط على الحمية، والعصبية والجهالة في المرمى.

وفاء .. لمن (وفى)

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها^(١) تبعثوها ذميمة
وتضرر إذا أضريرتموها فتضرم
فتعركم عرك الرحي بثقالها
وتلقح كشافاً. ثم تُنتج.. فتتئم^(٢)

الخ، إذ هذه الثقافة (المسالمة) التي.. قد لا تُصدّقون أنها تجد كل هذا التأييد والتبجيل والثناء عند أولئك المعسكر الثاني، وأعنى بهم مُشعلي الحروب وموقديها، ومثيري الأزمات وصانيعها، تسليماً أن نتائجها، من فقر، ويتم، وفاقة، ودمار ضحاياها - نحن- دول العالم (الثالث)! أو هكذا (سُوق) لنا.. عنها، ونسوا أن حصيلتها/ العز^(٣) والفخار والثأر.. - وكله خير-: إعادة الحق (المغصوب) وأقلها: ردع الغاصب - وكلّ هذا خير من التماذي خلف مراميه فينا، بدعوى: خوفنا من أي ناعق (قد) يضرم نار (الحروب) وما تخلف ! .. أجل :

فكل (سلام) أتى بغير اقتدار
حُجّة لاجيء إليها اللئام^(٤)

فأمسى (الجبن) عنواناً لنا، والسلم دعوتنا و... و... الخ، جلّ ما لدينا.

لكن.. رغم كل ذلك - أي التعذير - لا بد لنا من الصمود..

(١) وإن كان المعنى بهذه الآيات (حرب أبناء العم : داحس والغبراء) لا حرب الأعداء- كما هي الحال

الحال بيننا، وبين اليهود-

(٢) أي : نُورث (اليتم) لأبناء تلك الحروب.

(٣) للحديث : { وما ترك قوم الجهاد، إلا أصيبوا بالنذل } - أو كما ورد -، ولذلك نسمع في خطب

الجمعه حتاً له : (اللهم أقم علم الجهاد ..).

(٤) - و.. مع الاعتذار بهذا ل (المتنبي)-

فالضعيف قلبه ينشقّ والحق دائماً قوي، ولن نفقد الأمل .. والله معنا، ومَنْ
ثم فنحن أقوى وأكبر من بني صهيون الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ تَمَّ قَسَتْ قُلُوبِكُمْ
مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ [البقرة: ١٧٤] نعم، كما وأبدوا من قبل أو أظهروا
لنا عداوتهم : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران: ١١٨]
وأكدوا بأفعالهم - مع (حبل) من يدفع عنهم بـ " الفيتون" - في الآية الكريمة^(١) ،
ولكن هيهات هيهات ما فاز باطل بطائل.. وكما قال الشاعر :

فقل لليهود وأشيعاءهم لقد خدعتكم بـ روق المنسى
ألا ليت (بلفور)^(٢) أعطاكم بلاداً له، لا بلاداً لنا
.. وثم :

فأني أحمد لك ربّي أنك - بعدها - قدّمت لنا ولهم (النموذج)، في زمنٍ عزّ
علينا (به) مثلك..

وأحمد ربي أنك ناضلت وناحرت من أجل قضيتك.

ف .. يا (أحمد) .. يُحمد لك : أنك كنت وبقيت .. ومضيت /

على منهج لم تقمّأ عنه^(٣) ، ولم تتدم عليه! حتى قابلت به (ريك) .. ناصراً به
رسالتك، منصوراً به - ولو^(٤) - (معنويًا) مأمّلك^(٥) ، ومنتصراً به لهدفك، ومستعزاً لديك.

(١) قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَجَلَّ مِنَ اللَّهِ وَجَلَّ مِنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٢]، فحبل الله: الإيمان، وحبل الناس : صنيع
أمريكا معهم بالدعم المادي، - الذي لا ينقطع -، والمعنوي: (الفيتو)!!

(٢) وزير خارجية (انجلترا)، أو قل .. في نعته: صاحب الوعد المشؤوم.. " تكون فلسطين وطناً لليهود..!"
- بالمناسبة : ظل بيت المقدس تحت إمارة المسلمين (بعد الاحتلال الصليبي ٩٠ سنة)، .. حتى عام
١٩١٧م.. حين دخلوا الأنكليز، وهو الآن قد أتمّ ٦٠ سنة في يد اليهود -

(٣) .. من معنى أدلى به أحد الوعاظ: (في الشدائد يختار القلة سلامة المنهج، بينما يختار الكثرة منهج
السلامة)، فالمسلم يدعو الله على (بصيرة) ومن البصيرة: قراءة الواقع وموارته بالممكن من
القدرات!، مع أنهم أضعف من الهيبة التي يتصنعونها - انظر هامش (١) ص ٢٠٦ -، وإنما ما قواهم
إلا تحاذلنا وفرقتنا التي أذهبت بريحتنا.. كما شبه المولى : ﴿ وَذَهَبَ رِجْحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦] أي بالتفرق!

(٤) فإن علينا فعل السبب، وليس علينا بلوغ الهدف، وهذه القاعدة.. ذكرها القرآن بـ : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة: ٩٩] ، ثم أكدها : ﴿ لَسْ عَلَيْكُمْ خِذَافَةٌ وَلَكِنِ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

(٥) .. لا تعتذر من / أنك مُقعّد. بل علينا نحن العذر، .. لأننا مكتملي الأجسام ولم نبلغ - مع هذا -
معشار صنيعك.

وفاءً .. لمن (وفى)

أستاذي - في (الجهاد) - لن أعرف بك (القاريء) .. متى ولدت وأين المنشأ ومقدار تحصيلك (.. أو شهادتك)؟ فهي هوامش مقابل (متتك) الجهادي، و مقامك النضالي، فيكفي - أن يُقال (القائد الروحي .. لحماس) ، فذاك يعدل لنا كل تعريف عنك ، أتى دُكرت خُطى سيرتك -

فنحن نتعلم أو نحرض على (التحصيل) لنصل^(١) ، فما خانة ذلك .. أمام من وصل فعلاً ، بل كيف الحال.. لمن حصل.. وما وصل؟!

فأنت (علم) .. في رأسه نار أحرقت أمانى المغتصبين ، وشوكة شجّت حلق الماردين ، وخنجر آدمى بصبره صدور الظالمين ، وكسر (القاعدة)^(٢) :

لا يكلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدُ إلا بما تجدُ

.. إليك - يا من بسيرته.. اشمخر بنا - هذه (الكليمات) التي في حلقي تتبعثر.. لأنها دون مالك في القلب (الناض) بسيرتك.. والعاطر ب ذكرك .. ، المتبّع لأثرك، لما لا وقد حزت ما تُأمل (دينياً) ، قال " علي طه " رحمه الله :

فإما حياة تسرّ^(٣) الصديق وإما ممات يُغيض العدا

فنشهد أنك.. لم تمت يا (نعم المثل) ، فأنت حيّ في قلوبنا .. ومن قبل عند ربنا : ﴿ وَلَا حَسَبَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَرَّقُونَ ﴾ (ال عمران ١٦٩) .

(رحمك الله).. وأنت تُردد بصوتك الذي نعرفه .. وتلمسه بكل حواسنا :

(١) .. انظر في هامش (٢) ص ١٧٨ .

(٢) .. ليس خلافاً للآية ﴿ لَا يَكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (القرة ٢٨٦) ، ولكن للمعنى الذي عنى ذوي الهمم، و.. ورد في الآية « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ (الأنفال ١٦٥) ، وكذا مراد الحديث : { طعام الأربعة يكفي ثمانية.. الخ } ، وهكذا.

(٣) .. والجاهلي (عنترة) يقول :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظلي

وفاء .. لمن (وقى)

(أُملي أن يرضى الله عني) ، قال " محمد اقبال " - رحمهما الله - :

آية المؤمن أن يلقى الردى باسم الثغر سُوروراً ورضاً

.. فأبشر يا سارية الجهاد - في هذا الزمن - أنك بلغت (بإذن الله) مناك^(١) -
.. نقولها لأننا شهود الله في أرضه ، كما في الحديث ، بل ويشفع في المصادقة عليها أن
الذي حققها لك عدوك (المحتل) !!

.. وأذكر دعوة لعمر رضي الله عنه : (اللهم أرزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في
بلد رسولك ﷺ) أخرج البخاري ، فبلغه الله ذلك - على يد من قال (عمر) فيه :
" الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي بيد رجل يدعى الإسلام " ^(٢) .

أبي .. إن كل دماثنا - كمسلمين - غالية علينا فلا استثنيك عن من قضى
مثلك ، لكن يضل (الرمز).

.. لأن في بلوغه من العدو .. هو حالٌ من الاستخفاف بإجمال الأمة^(٣) !

كما .. وأن تُضرب الأمة في رمزها ، فما هو إلا استهتارٌ مهين من الخصم !
من هنا نقول فيك ما نقول ، وليس تميزاً^(٤) لك عن شهداء بهذا المضمار من
قبل .. سبقوك .

فنهنتك ب (الشهادة) .. وإهناً بقاء ربك كما وددت ، بل وهذا (إن شاء الله)
مُنَى أمثالك ﴿ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم ﴾ (السر ١٧٠) ، فلنا فيك نبراساً وأملاً .. وهذه أمة
(محمد) التي قال فيها : { الخيرة في وفي أمتي .. } الحديث -وقد تقدم- ف..
عزائنا الحقيقي بما في فحواه .

ذاك ما نعهد بهم ، وبمن تربى على مثل نهجك ، .. إذ فيهم الخلف - يا نعم (السلف) - .

(١) وهذه .. بإذن الله : من (الكرامات) .

(٢) تاريخ الطبري ١٩/٤ - و انظر (تاريخ الخلفاء) ص ١٣٥ .

(٣) ثم ف (الله) المنتقم الجبار ، إن حال ضعفنا عن أن نأخذ بثأره .. فهامو (قاتله) - أي شارون - يروح
بغيبوبة ، منذ تمادت يده .. فطالته ، وطالت من خلفه على "حماس" (د. عبد العزيز الرنتيسي) ..

علمنا من الشرف العظيم رفيعاً	لم يقتلونك وإنما نصبوا لنا
رحل الضياء مكرماً مرفوعاً	(عبد العزيز) رحلت مثلماً
ولقيت رب العالمين مطيعاً	عبد العزيز رحلت عنا شامخاً

- مع ما تقدم (نثراً) ص ٢٠٢ -

(٤) أي تقريبا ، قال تعالى : . وَأَمْشُوا أَيُّمًا الْبَحْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ - أي : أظهروا وبانوا عن إجمال الأمة -

أجل :

لقد كنت - بحمل الهم - ذا منهج تكاملي، إذ عشت قضية وطنك (فلسطين) وقضية أمتك (المسلمين) ، بل وقضية الإنسانية - في العالم كله - لقوله ﷺ : { كلكم لآدم وآدم من تراب }^(١).

ولكن نعبطك يا شيخ الجهاد على ما قدّمت .. وما إليه - بإذن الله- إلت .

وجه عليه من الحياء سكينه ومهابة تجري مع الأنفاس

وإذا أحسب الله يوماً عبده ألقى عليه محبته للناس

رحمك الله ، رحمة واسعة .. ووالديك الذين ربّوك على هذا المنحى ، وزرعوا فيك هذا البذر الذي آثر بك على نفسك وصحتك وآلامك الجسدية والمعنوية.. كيما {تكون كلمة الله هي العليا} الحديث ، .. - ، وأنت تقفوا^(٢) .. ، وتحتذي: وتحتذي:

إذا القوم قالوا: من فتى؟، خلت أني عنيت.. فلم أكسل ولم أتبلد-

ورحمك الله ، جزاء ما قدّمت وما أفنيت به ذاتك (الصابرة) أمام .. تحقيق أمالك لأمتك^(٣) .. ودينك - من قبل -

(١) وأيضاً: { الخلق عيال الله ، .. وخيركم خيركم لعياله } - المعجم الأوسط ٣٥٦/٥ ، وقال علي عليه السلام:

الناس من جهة التمثيل أكفاء
ابوهم آدم والأم حسواء

(٢) من هذا .. قول الشاعر :

والناس ألف منهم كواحد
و(واحد) كالألف إن أمر عنا

(٣) .. خلاف ذلك المنكفيء على (نفسه) وشهواتها ، .. فحين قال أحد الجنود الفرنسيين لقائده: أموت أموت من أجل فرنسا! عنّفه القائد قائلاً : (أريدك أن تعيش وتحيا من أجل فرنسا!) - أي ماذا يستفيد بلدك إذا مت هكذا!-

ورحمك الله (قدر).. ما أوقدت بنا نار تتلظى على أولئك (الحفنة)^(١) التي
شردت من كل بلاد الله .. حتى - وفي (ساعة) نوم الأمة .. استغلت هوانها -
فاغتصبت.. أرض الأنبياء!، ولا نقول لهم - الآن - إلا بسلح رماء الفرزدق:

خلالك الجو فبيضي وصفري^(٢) ونقري ما شاء لك أن تُنقري!

ورحمك الله . كل لحظة نذكرك بها .. فتُذكرنا سحنتك (أن الجهاد ..
سنام ديننا) .. ، .. ومتى ما تخلينا عنه نزلنا من عليائنا..!.

كذا استحثنا (ابن الوردي) نظماً :

لقد صدروك لأمر لو عنيت به فربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

و " محمد إقبال " نثراً :

(ليس منتهى غاية الذات أن ترى شيئاً ، بل أن تصير شيئاً)^(٣).

ورحمك الله .. بقدر تلك النفس التي حملت همّة تفوق احتمال الجبال، لكن :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت بمرادها الأجسام^(٤)

ورحمك الله .. مدى عزة ذاتك التي تحملت.. وتحاملت ظلم من ﴿ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ (التوبة: ١٠٠) .

نعم/ عليك رحمة الله تترى.. إثر تلك التضحيات التي (قُدِّمت) .. بنفس
راضية مرضية لأجل أمّتها وعزّتها .. ونصرها، .. حتى خُتمت لها بنيل المبتغى
(الشهادة) -.. بإذن الله -

(١) قال (د. جمال حميدان) :

حدثت ظاهرتان لليهود ، فهم لما خرجوا من فلسطين وتعايشوا مع الشعوب التي دخلوها حدث لهم ما يلي :

١- خرج عدد كبير منهم من اليهودية إلى ديانة أخرى.
٢- دخل عدد كبير غيرهم إلى ديانتهم حتى ذابوا بين الشعوب، ومن بقى منهم متهودون وليسوا
أصل اليهود.

(٢) .. أجل، وقد خُدموا إعلامياً اليوم- حتى قلب باطلهم حقاً، وما أصدق عليهم ما قاله الشاعر :

في (زخرف القول) ترويجا لقائله **والحق قد يعتربه سوء تعبير -**

(٣) .. وقد جلى ابن القيم - رحمه الله - ب : (قد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم،
وأن من أثر الراحة فانتته، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا
فرحة لمن لا (هم له) .. الخ).. انظر ثانياً ما تقدم/ ص ٢٠ .

(٤) (٤) المتبني.

وفاء .. لمن (وفى)

فـ .. نرفع العزاء إلى ابنك (عبد العزيز) وإخوانه وآل (ياسين)، ثم إلى العالم الإسلامي.. على غياب (شيخنا الفقيه) قائد (حماس) .. وصاحب العزيمة.. و...، ذلك الذي : ليت المدائح تستوفي مناقبه^(١) ..

كما و .. نسأل الله أن يتقبله في الصالحين...، وأن يخلف علينا أمثاله- وإن عزَّ زماننا إيجاد محاكٍ له، كما قال عمر إجازاً في تأبين لخالد بن الوليد - رضي الله عنهما-: (تعجز النساء أن تلدن مثله)!

.. ثم أبشر - ونحن شهود الله في أرضه - أننا: نزفك إلى مثواك، ونحن نردد بحقك .. وأمثالك ، قوله تعالى^(١) :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٧٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٨٠﴾ ﴾ (الفجر ٢٧-٣٠) .. وصدق الله الذي وعد الصادقين ﴿ يُوفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ ﴾ ﴿٥٧﴾ (ال عمران ٥٧) .. وللصابرين أجرهم ﴿ بغيرِ حسابٍ ﴾ البقرة: ٢١٢.

وصلى الله على إمام المجاهدين: نبينا محمد خاتم المرسلين



(١) نقول هذا.. بمثلك.. - ولا نركي على الله أحداً -

هَلِيكَ السَّلَامُ .. يَا (إِمَام) (*)

تبلى الحناجر تحت الأرض في جدث (وموتها) يتلو الآيات والسور
ها.. قد ولّى ذاك الصوت الرخيم، وذاك القلب - الذي أحسبه - سليم..
(إمام) الحرم،.. بلا وداع ولا سلام -.. ولا حتى كلم-: (علي بن عبدالله باجابر).
وهكذا :

يمضون بصمت أولى حسن الطوية.. جميل السريرة جليل السيرة.. وبكل
(سكون)، - .. أيعلم ما نُكِنّ له بالمكنون ١٩ -

.. وبلا هزيج ولا تفويج: سلّ من بين زخمننا للحياة ورهقنا إثرها (صعودا).

ومن قول المعري - في (داليتها) - اخترت ما يُماثل (صمت) وداعه:

ودَّعَا أَيُّهَا الْحَفِيَّانِ ذَاكَ الشَّخْصَ، إِنْ الْوَدَاعَ أَيْسَرُ زَادِ

أجل، ف (الوداع) أيسر زاد.. أو أدناه - كما أحسب - بحق فقيدنا.

ف.. لا زال^(٢) (صوته) الشجي والذي وُسم بخاطري.. منذ مطلع تعلقي بصوته
يسري بنا، وبسورة (الأنعام) - خاصة - ... يُسْرِي عَنَّا: نعم حُقّ له صنيع ذلك ففي
الحديث المتفق عليه { ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن
بجهر به }.

(*) نشرت: بجريدة الجزيرة بتاريخ ١٢/٩/١٤٢٦هـ - وعدد : ١٢١٥٦ - وقد وُسمت بعنوان (إلى رحمة
الله.. يا إمام) وكان الأصل هو المثبت أعلاه، وهذا حق، فالله يقول عن (عيسى) عليه السلام:
﴿وَأَلَكُمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُتْعَشُ حَيًّا﴾ (بريم ٠٢٣) .

(٢) وإن توارى بجسده - بعد .. تنحيه عن الإمامة لطروفه الصحبة-، إلا أن شخصه ظل حاضراً..
بقراءته، خلال ما يبث : (المذيع) له بين الفينة والأخرى، .. ولا زال .

وإن أذكر بهذا، فلا أنسى (والدي) رحمه الله - وفي أيامه الأخيرة - كثيراً ما أنصت.. وبصوته : لهذه السورة.. التي تحمل وصية^(١) محمد ﷺ : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ (الأنعام ١٥١) .

- وهي الوصايا (العشر) التي أتت متتابعة بهذه الآيات، إلى قوله تعالى :

﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (الأنعام ١٥٣).. -

إذ كان يرحل بك صوته الجليل .. بخاصة وأنت تستمع إليه يُرتل الآيات.. وفي (أقدس)^(٢) مكان، فيأخذك بصوته الندي، وقلبه الخاشع إلى عوالم إيمانية^(٣) .. تتقلك من جفاف الحياة، أو (زهرتها)،^(٤) إلى فضاءات روحانية.. تُخلق فيها إلى مدارات الإيمان، وترقى بها روحك إلى سماوات علياء، فيها: الطهر

(١) كتب (د. محمد الشويعر) - الجزيرة عدد ١٢٤٢٣ - :

لكن وصايا الله سبحانه لعباده، أعمق من ذلك وأكمل، لأنها تشريع من الله جل وعلا، لعباده في أمور تتعلق برابطة المخلوق بالخالق، وأمر الزامى لا تراخي فيه، يحاسب عنه يوم المعاد على الله، يبنه الله لعباده من مصدر التشريع: وهو القرآن الكريم: أمراً بالتنفيذ فيما ينفعهم ويسعدهم، ونهياً بالتحذير عن التهاون والتخاذل، قبل فوات الأوان.. وبذلك تقوم الحجّة، ليلقى كلّ جزاء: ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ (البقرة ١٥٥)، فالله جل وعلا حكّم عدل، لا يظلم الناس شيئاً، ولو كان مثقال حبة من خردل.

(٢) من : التقديس، وهو أي شيء يُفصل عما حوله، ويحاط بهالة من التكريم أو التبجيل - وبهذا أطلق على مدينة (القدس) هذا الاسم، لما يوازي مقامها، وتضم أرضها الأقصى الذي: كما قال تعالى فيه : ﴿ بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (الاسراء، ١٠١) .

(٣) .. ونستعيد بالله، أن يوافقنا قول الحسن البصري: (إن قوماً أمروا أن يعملوا بالقرآن، فجعلوا قراءتهم له عملاً) - أي أوقفوا عملهم به على / القراءة فحسب!-

(٤) كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ ۗ وَرَزَقْنَاكَ مِنْ خَيْرٍ وَأَبْقَىٰ ﴾ (سورة القصص، ٢٥) .

وفاء .. لمن (وفى)

والخشية لله، وفي الحديث : { إقرءوا القرآن وابتغوا به وجه الله عز وجل قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدر^(١) يتعجلونه ، ولا يتأجلونه } - رواه أحمد -
ف.. لكم.. كان يُغنيا^(٢) بالقرآن ويسلبنا ترتيله، ويأسرنا رخيماً تردده
للآيات الباهرات، فيصدع.. حتى تقتلع قلوبنا، ثم يهدى.. حتى تسكن إثر
(نبراته) حواسنا.

و.. لأن التوجيه النبوي الكريم يحض على ذلك في عدة أحاديث، منها
قوله عليه الصلاة والسلام : { ليس منا من لم يتغن بالقرآن } ، و : { زينوا القرآن
بأصواتكم } ، .. وقال لأبي موسى الأشعري :
{ لقد أوتيت مزار من مزامير ال داوود } .

حتى قال ابن القيم - تعليقا على هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ
يُكَافِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ
تُؤْتُوهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ المائدة ٤١ - :

(فالقلب الطاهر - لكمال حياته ونوره وتخلصه من الأدران والخبائث - لا
يشبع من القرآن، ولا يتغذى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب
الذي لم يُطهره الله).

وكذا وصف (عبد العزيز حنفي) .. ما بعد : تلك النبرات /

(١) إقامة القدر: كناية عن أنهم يصلحون الفاظه وكلماته، ويتكفون إقامة مخارجه وصفاته.
(٢) يغنيا، لها معنيان: أي نستغني به عما سواه، من أي منحه بشري، والآخر ما جاء في الحديث :
{ ليس منا من لم يتغن بالقرآن } - .. أي : يحسن صوته به -

(وكما كان وقع تلاوته في القلوب مؤثراً لدرجة كبيرة، كذلك كان خبر موته، .. نسأل الله - عز وجل - أن يعوض المسلمين خيراً، وأن يغدق رحمته ومغفرته على الشيخ " علي جابر" ويجزيه خير الجزاء، على ما قدمه للقرآن الكريم من عناية ومدارسة وإتقان.. وللمسلمين من منفعة وتعليم، ويسكنه في عليين مع السفارة الكرام البررة، تحقيقاً لحديث المصطفى ﷺ: { الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة }^(١)، ولا نقول في هذا الحادث الجلل إلا ما أمرنا حبيبنا.. وبما يرضي من قبل ربنا: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٥٦) .

.. وأضيف : أما عن أخلاقه وآدابه وتواضعه، فحدث ولا حرج، فقد كان يرحمه الله: متواضعاً وقوراً حسن الأخلاق، لم تؤثر فيه كلمات المديح والاطراء^(٢) ولا تسابق الناس للصلاة خلفه..، حتى بعد أن ترك الإمامة في المسجد الحرام - لظروفه الصحيّة -

.. وكان مُحبّاً للعلم ضالماً فيه، وحرص على الترقّي في درجاته بالكدّ والمثابرة حتى نال منه درجات مرموقة وعلماً غزيراً).

فما .. نقول ، إلا : عليك الرحمات تترى:

فكم هزرت قلوبنا، وفتقت بهزيج صوتك معاني (الذكر الحكيم) في ذواتنا، وأجليت بترتيلك.. ما خفى نطقه في مكوّننا..

(١) (متفق عليه)- السفارة: هم الملائكة، و(برره) أي: قلوبهم وأعمالهم- (انظر في هامش (١)، ص (١٢١)).
(٢) .. وهكذا العهد بالصالحين الذين إذا مدحوا .. قالوا: (اللهم اجعلنا خير مما يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون) - تواضعاً وأدباً.. مع ربهم، خلاف أولئك الذين: ﴿ تَحْمِلُونَ أَن تُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ (١١٨ سورن).
- وانظر إشارة .. في ما تقدم ص٢٦-

.. والذي كان قبل عهدك - .. وأصدقك بهذا - نسمع إليه وقل ما نعي، أو نقرأ .. في تجلياته.. بلا وعي^(١) أو استبيان!، ما كان منه خفي!
بل وما كنا ولا كان لنا .. لولا ما جاء في الحديث : { ما كنا لنستطيع .. لولا أن الله وطأه لنا } .

وكما روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : { اقرأ علي } قلت : يا رسول الله: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ ، قال : { نعم } ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ۗ ﴾ (النساء ٤١) قال : { حسبك الآن } ، فالتفت فإذا عيناه تذرفان، رواه البخاري - في كتاب (فضائل القرآن) ١١٣/٦ -

- قال الإمام (ابن جرير الطبري) : " عجت لمن يقرأ القرآن ولا يفهمه، كيف يتلذذ به! " -

.. قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : (لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح ب: "إذا زلزلت" و"القارعة" ، لا أزيد عليهما ، وأتردد فيهما وأتفكر ، أجد إلي من أن أهدأ القرآن ليلتي هذا) ، لا كما عنت حذيفة - رضي الله عنه - : (هذي .. كهذي الشعراء) .^(٢) ، ولنا في حبيبنا صلى الله عليه وسلم : القدوة: فقد قام ليلة (كاملة) في قوله تعالى: ﴿ إِن تَعْدِبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة : ١١٨)

(١) .. وهذا لعمرى: من تقصيرنا مع كتاب ربنا، وقد قال فيه المولى * لَوْ أُنزِلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَيَّ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشَعًا مُتَصَدِّعًا ۚ ﴿٢١﴾ (المسح ٢١) .. فهل قلوبنا أقسى من الجبل؟!، إننا فعلاً: نخاف^(*) أن تكون - أي قلوبنا - ممن قال في أصحابها المولى: * فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ ﴿٧٤﴾ (البقرة ٧٤) - (*) وانظر في ص ٥٥ -
(٢) .. من كتاب (الزهد) لابن المبارك ص : ٩٧ ، وهذا لا يُعارض صواب من آل على نفسه ختمه كل سائحة تأتيه.

وكان شاعر الإسلام في هذا العصر (محمد إقبال) - ت ١٩٣٨م - رحمه الله يقول : (كان والدي يمر عليّ وأنا أقرأ القرآن فيقول لي : إقرأ القرآن كأنه أنزل عليك الآن) .. أو نحو (كأنه رسالة من الله إليك).

وإليك.. في (النصح) هذا المقطع كي يلين قلبك من قساوة الدنيا :

ابعث رسائل وقت السحر: مدادها الدموع، وقراطيسها الخدود، وبريدها القلوب . و.. وجهتها إلى علام الغيوب، وانتظر بعد صدقٍ وتضرّع والتجاء - بإذن الله- : الجواب، ف :

(أجمل) ما يغسل العاصي: مدامعه .. والدمع من تائبٍ أنقى من السحب

للحديث { إقرأوا القرآن وأبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا }^(١).

وأذكر كلمة وجهها لنا (د. أحمد نوفل) حفظه الله- ونحن في دورة شرعية - : " إذا قسى قلبك، .. فاجلس منفرداً، ثم اقرأ في القرآن.. واستمر

= ولهذا .. كان الصالحون ممن يعرفون مقام هذا الكتاب العظيم.. أعظم نموذج يُقتدى، فكان منهم من يختم القرآن كل عشرة أيام وكان منهم من يختمه كل جمعه، وكان منهم من يختم كل (ثلاث) - استناداً بالحديث { لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث} ، صحيح أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وصححه الألباني، وروى أن عثمان رضي الله عنه يختمه كل ليلة^(٢).

- (*) وقد علق ابن حجر : إن النهي الذي ورد عن قراءته بأقل من ثلاث أي.. في المداومة على ذلك، ثم قال : يُحمد لمن ودَّ استغلال شرف المقام كمكة، والزمان كرمضان.. الخ قراءته بأقل من ذلك.

(١) وقد جاء في الحديث : { شيبتي هود.. } أي سورة هود وغيرها من السور المتضمنة أهوال يوم القيامة، وللحديث الذي أخرجه أحمد: { لو تعلمون ما أعلم .. الخ }.

على ذلك حتى تتهمر دموعك، ويبكي معك قلبك ليلين، ويفسل الرآن الذي عليه.. الخ.

بل .. إن صوت هذا الشيخ الكريم يُحَفِّزك على تدبّر آيات الله - كما أمر سبحانه - إحياءً من حُسن تلاوته، وجمالاً^(١) صوته، وخشوعه في مواقع الخشوع في ترخيمه عند آيات الوعد، ووقوفه (إرعاداً) عند آيات الوعيد! فقد: أتاه الله من ذاك حظاً وافراً.. مع تمكناً^(٢) في الحفظ.

ولا غرابة أن الذين يعرفونه قبل أن يداهمه المرض يدركون الدور الذي قام به في استقطاب الناس لسماع التلاوة، حتى كُنَّا نسمع الكثير من الناس صفاراً وكباراً يقلّدونه في طريقته المتميزة بالترنم بالقرآن الكريم، إذ كان - رحمه الله - مدرسة لجيل من الحُفَاط.

ختم:

- تأمل في الوجود بعين فكر
تر الدنيا الدنيّة كالخيال
ومن فيها جميعاً سوف يفنى
(ويبقى وجه ربك ذي الجلال) -
.. ف: عليك السلام، كلما ناح طائر الحرم، وأمّ مكّة حاج.. أو معتمر،
وأنصت لصوتك (الخالد)- في خلدنا- بدمع مُتْهمر.

(١) .. قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا بَيْنَهُ﴾ (افاطر ١) هو / الصوت الحسن.

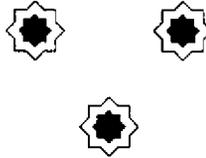
وقد قال أهل الطب: أن الصوت الحسن يسري في الجسم، ويجري في العروق، فيصفوا له الدم، ويرتاح له القلب، وتهش له النفس، وتهتز الجوارح.
(٢) إذ قلما يخطيء.. - وهذه التي تعطيه ميزة في الإسترسال-

ف/ نسأل الله ألا تمسّ عيناك النار، مصداقاً لبُشرى المصطفى ﷺ: { عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس لله } .
أجل ..

(عليك السلام) - وإن كان مثلك: عزيز علينا بينه، وشديدٌ بنا نعيه.. وغالٍ علينا وقع فراقه- :

وقد أزلت لمثواك.. فلا تموت نفس قبل أجلها، ولا تقدّم - أيضاً - قبل يومها.. ف ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٥٦) . حكمه - .. من أية- أمرنا بترديدها يقينا (وإيماناً) لما فيها، ف: عليك السلام .. عليك السلام.

- وصلى الله على نبينا محمد -



رحيل (أبو الفقراء) (*)

من لا تُشابهه الأحياء في الشيم أمسى تشابهه الأموات في الرمم!

لعل: أكثر من يصدق عليه قول (المتبي) هذا .. ذلك (الراحل).

وذلك أنه بحق ذو (شيم) (٣) فلما تجتمع بشخص!

فأولها: الدين، ثم التضحية بالغالي له، ثم بالكرم .. والسماحة والصبر، وعدم الالتفات إلى الدنيا، رغم أن لديه أهم أسبابها: "المال" (٣) .. وهو بيده. فلم يفتته، والحديث: { لا حسد إلا في اثنتين، رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار } متفق عليه، .. أحسبه بأمثاله - والله حسيبه - .

أجل، .. ورحل: رجل الخير - في الكويت - .. وذو الأيادي البيضاء على جَم من جراح المسلمين، إنه: الإصلاحى الكبير، وقائد (جمعية الإصلاح في الكويت)، والشيخ والداعية الجليل:

(عبدالله بن علي المطوع) - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه في عليين - ، وذلك عن عمر مديد قضاه - فيما أعلم - بخير وجهاد وبذل وعطاء..

فلم أجدني إلا وقلمي يلخ عليّ كتابة هذه الأسطر القليلة ، .. و لو: على عُجالة .. - في حقّه - أو ب تجليّة عن (مقدار) مقامه.

(*) نشرت المادة.. في صحيفة (الجزيرة) عدد ١٢٤٢٥ .

(٢) الشيم: جمع للخصال الكريمة .

(٣) .. قال هنتر : (ثلاث أشياء إذا ملكتها.. ملكت أسباب القوة: المال، ثم المال ثم المال).

إذ إن الفقير وحين يتكلم عن البذل، فإنه يرنو إلى مثاليات لم تُحاكي (وجودها) أجواءه، فيُحكّم على صدق قوله - حين يوفق بين القول والعمل! -

وإنني لأعزّي نفسي به.. وأمثاله، كما وأعزّي كل من عرفه أو سمع عنه وعامة المسلمين، ف: رحماك اللهم ربي، فإن مصابنا به عظيم، وفقدنا إياه خسارة قلّما تُعوّض، خصوصاً في هذا الوقت الذي عزّ فيه المعين وجفّت منابع الجود.. إلا ما شاء الله!

-.. ولا بالمال أعني، بل.. بالجهد والجد، والعزيمة، والهمة من قبل .. وراء ذلك /
والناس منهم ألف ك (واحد) وواحد كالألف^(١) إن أمر عنا-

ولم يعد لتلكم طالب يرغب أو باحث يستفيد، مع تكاثر المادة أو تهاافت الناس على جمعها، وانصرافهم عن طلب العلم النافع .. إليها.. إلا ما شاء ربي-
وأحسب قول (ابن المقفع): يحاذيه، أو هو فيه:

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد شهم يموت بموته بشر كثير!

ولا أحكي من فراغ أو أغالي^(٢) فيه، إذ حدّث عنه الداعية (أحمد القطان) بشيء فيه العجب!، فقال^(٣) :

(١) وشطر العجز.. يعنيه، قوله تعالى - مخاطباً ذلك الجيل الذي حمل على عاتقه همّ تثبيت الإسلام، ومن ثم الدعوة- : ﴿ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ (الأنفال: ١٥)
- وللعلم: فقد أجاز أهل العلم الإنسحاب، إذا كان العدو أكثر من الضعفين-
.. بل حينما إطلعت على دعاء (الطنطاوي) - الذي تقدم-: على (شارون) - بعد إغتياله ياسين والرنتسي- أن يبلاه الله ببلوى يتمنى الموت معها ولا يجده - وها هو (بفضل الله): بغيوبة من ذلك.. لعل الله استجاب له، أقول: إن الله مطلع وعالم بحال الأمة، ويعلم عن حوال وجاهد - كعلمنا الطنطاوي- .. فكان له (كإكرامة) استجابة الدعاء .. مثله بإذن الله، كذا نحسب له استجابة لما دعاء به، والله حسيبه.. وكذا تفائل الشيخ ياسين بزوال دولة اليهود .. وأكد هذا (المرمى) فعليا: اسماعيل هنية بقوله: (نحن جيل نعدّ ومن بعدنا يقوم بهذه المهمة) - بإذن الله تعالى-
(٢) مع التنبّه (خلال هذا الشاء) إلى عدم الغلو... وقد تُهينا عنه، حتى في الدين * لَا تَقْلُوا فِي دِيْعِكُمْ شَيْءًا (النساء: ١٧١)
(٣) - في صحيفة (أهل الخير) عدد / ٢١-

" ذهبت معه يوماً إلى السوق لنشتري حاجة فوقفنا عند البائع، فسأل البائع: بكم هذه الحاجة؟ قال: بخمسة ريالات.

فقال الشيخ المطوع: بأربعة، فأبى البائع. فتركه وذهب إلى بائع آخر، فسأله عن نفس البضاعة، فقال بأربعة، فاشتراها فقلت له .. تترك البائع الأول على ريال؟ فرد :

نعم، هكذا تكون التجارة وهكذا تكون المروءة في البيع والشراء. ثم ركبت معه السيارة وذهبت أصلي صلاة الظهر في المسجد، فقال: أجلس معي يا شيخ أحمد حتى تشهد أنني أوقفت الآن سبع عمارات في منطقة (خيطان) وهي أكبر ثروة عندي في البلد تقدر بالملايين، للأرملة واليتيم والمسكين والفقير في أرض مصر وغيرها من الأمة العربية ."

ويواصل القطان: " ذهلت لذلك كيف أنه أخذ يراجع البائع على ريال، وفي نفس اليوم في صلاة الظهر يوقف سبع عمارات بالملايين ما هذا؟ .. أني والله لأرى عجباً، أن هذا الإنسان يُنفق إنفاق من لا يخاف الفقر، وقد كنا نقرأ في الكتب عن أمثال هؤلاء الرجال الأفذاذ الذين يبذلون ولا يُبالون."

أجل روبي، ما أرخص الدنيا لدى أمثاله، وما يُذكرُك صنيعه إلا بالمثال العظيم: (عثمان بن عفان) رضي الله عنه في تجهيزه لجيش (العُسرة)، حتى نال في هذا براءة من الصادق المصدوق عليه السلام: { ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم }.

ثم .. وهذا (مشهد) واحدٌ والذي لا نعلمه منه لا يعلمه إلا الله، فهو رئيس (جمعية الإصلاح الاجتماعي)، وقد أسَّس مع أخيه (عبد العزيز) - عليهم رحمة

الله - جمعية " الإرشاد " في الكويت ، .. والتي تحوّلت بمرسوم أميرى إلى : جمعية الإصلاح ، ويشرف بنفسه على مجلة (المجتمع)^(١) :

.. والتي تتبنى قضايا الأمة من مشرقها إلى مغربها وعلى رأسها قضية (الأقصى) ، كما أنه يُشرف إشرافاً مباشراً على العمل الخيري ويتابعه.

.. رحمك الله يا (أبا بدر) ، فقد فقدنا فيك طيباً وصادقاً وعطوفاً.

وفقدتك تلك (القلوب) الظائمة لجود أمثالك - .. والتي لو أرهفنا سمعنا إلى هداياتها^(٢) ، لردّت علينا الصدى إزاء هذا (الفقد) :

ما كنت أذخر في فداك رغبة .. لو كان يرجع ميت بفدائي

ولكن هذه سنّة الله في عباده - التي ليس عنها تحويلاً ، و.. لا تبديلاً - فالحمد لله على قضائه وقدره.

و.. - بعدها - أقول للفقيد : أبشر ، فلن يموت من تلهج الألسنة بذكراه الطيبة وسيرته الحميدة .. مع الشاء عليه والدعوة له بالرحمة والغفران.

و.. والله إن المرء ليحزن لرحيل (أمثاله) مرتين^(٣) :

الأولى : على خسارة مثل هذا الميعطاء.. و الفد^(٤) في مجاله ، وأخصّ من له أيادٍ عليهم ، كذا أثبت لمثله أحمد شوقي :

(١) .. قال عنه من يعرف نهجه :

" وكنت أجلس بجانبه الساعات يراجعها كلمة كلمة ، وحرفاً حرفاً لا يمل ولا يكل " .

(٢) والتي (بحق) : أولى من تُعزى بك.

(٣) .. وانظر ما تقدم : ص ١٩٠ .

(٤) الفدّ .. - وكما تقدم ذلك - هو الذي ليس له مثيل .

وَتِيَّتُمْ الْآيَاتِمْ أَوْلَ مَرَّةٍ ورمى الزَّمان بصرفه.. الفقراء

والثانية : أن هذا أي : (رحيل الصالحين) ، نذير خطير للحديث : { .. إنما يقبض العلماء } ، وانحدار في توجّه مركبة الأمة إلى ما لا يعلم إلا الله.. المال ، ولعلّي أيفض / فقد كان الناس ولا يزالون يبكون العلماء الريانيين ، .. لما مات زيد بن ثابت ؓ قال أبو هريرة ؓ : (مات اليوم حبر هذه الأمة ولعل الله يجعل في ابن عباس منه خلفاً) . وبقي ابن عباس - رضي الله عنهما - عالماً للأمة وإماماً لها سنوات طويلة ، فلما مات صفق جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - بإحدى يديه على الأخرى وقال : (مات أعلم الناس وأحلم الناس ، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق) .

- بخاصة ممن عناهم القائل :

وقد كانوا ذا عدداً قليلاً وقد صاروا أقل من القليل -

ومن تقسيمه تعالى - لأهل الجنة - بصنفين :

السابقون ، وأهل اليمين ، ثم قال عن السابقين : ﴿ تِلْكَ مِنَ الْأَوْلِينَ ﴾
وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ (الواقعة ١١٣-١١٤) ، فإنني لأحسبك من هؤلاء.. أي : من (القلة)
أو .. أولئك الذين خصّهم المولى بهذه الشهادة : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبا ١١٣).

وكم أحسنت (لنا) .. وبنا : قناة " المجد " حين خصصت حلقة (خبر وتعليق)
- الأخيرة - عنه ، وهذا ما أحسبه أقل حق .. لمن يستحق ، فإله الأمر من قبل ومن بعد.

وصلى الله وسلّم على رسوله محمد ، ، ،



القلب السليم (*) ...

سبحان^(٢) .. من أرواحنا بيده، وقلوبنا بين إصبعين من أصابعه^(٣) . و أصلي امتثالاً لأمره تعالى على ساكن القبة - فداء ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها - ، وسلام من يرجو شفاعته ، .. في:

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الشراء ٠٠٨٨-٠٠٨٩)

وهذه (القلب السليم)^(٤) درجة ما نرجو..، وما لمكانتها نتوسم لنا، ولكل مسلم، وأخص بهذا المقام الراحل الغالي :

(عثمان^(٥) بن ناصر بن عبد المحسن الصالح) - ١٣٣٥ / ١٤٢٧هـ -

أو هكذا نحسب، ونحتسب للمولى ذاك (الفقيد) العَلم، والجبل الأشم.

ليس بكثير - على مثله - أن يحوز أو .. يُمنح :

(*) نشرت في الجزيرة/ عدد (١٢٢٤٢) - في (٧ / صفر / ١٤٢٧هـ) - كما وأعيد نشرها بإصدار حمل عنوان: (رثاء وذكرى الأستاذ/ عثمان الصالح) ص ٢٧٥ وما بعدها ، .. - وهو الجمع الذي رصد فيه إجمال ما كتب عنه (تأبيناً) له.. بعد وفاته .. شعراً ونثراً -

(٢) أي : تنزه عمّا لا يليق بجلاله وعظمته جلّ وعلا - وانظر في هامش (٢) ص ١٧٥ -

(٣) .. كما في حديث { القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن..} الخ - وعند أحمد: { إنما سمي القلب قلباً من قلبه } -

(٤) .. وتعليقاً على (القلب السليم) أذكر بما تقدم ص ١٢٢ - وأن في ذلك : مما ينطبق على فقيدنا: المربي الغالي ، ومن يوافيه مثل (ثالثنا) هذا -

(٥) وإن كانت الأسماء لا تُعلم، لكن لها دلالتها، فهو من : العثم : أي الجبر .

- وعثمان فرخ الثعبان، وذلك أن العرب تأخذ الاسم دلالة على صفة ظاهرة أو موازية في شخص المسمى.. وأملها أن يُحاكي تلك الصفة.. - كـ (أسد بن الفرات) تيمناً أن يبلغ شجاعة الأسد .. وهكذا -

وفاء .. لمن (وفى)

(وسام) الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى...، إذ: شغل منصب مدير لمعهد الأنجال- والذي تم تغييره إلى " معهد العاصمة النموذجي" بناءً على طلبه- .. إلى أن تقاعد عام ١٣٩١هـ.

هذا (المربي): أو هي (صفة) حظي بها بدءاً^(١)، و التصقت به بعدها، حتى حتى أمست في عهدنا ولـ (كأنها) وقفٌ عليه، وعَلِمَ وُسْم به^(٢) .. فَيُتَبَع بها اسمه. اسمه.

ففي (الجمعة) الماضية ، فقدنا مريباً، وبحراً.. (من أي النواحي أتيتُهُ).. وجدت عنده ضالتك- فالكرم محضنه والسماحة تعامله واللطف خُلُقُه-.. كما تجلّل بالعلم حتى.. غدا بين دُفْتَيْه، وأمسى (الحلم) من أظهر صفاته ، و.. اللين أجلى خصاله، .. وكذا (الطيبة) - التي تأتي بنيان الغرور من قواعده ، فتخر.. به- فتكاد تجزم حين تُحادثه أنها وقفٌ عليه .. فهو: (عَلِمَ) (عالمٌ) ، و (معلّمٌ).
- أعلمت أشرف أو أجل من الذي يبني ويُنشئ أنفساً وعقولا -^(٣)

وهذا الصورة الحيّة.. التي كانت تعكس في كل مطالعها ذاك البياض والسناء والصفاء، والتلقائية والروح الجميلة في تعاملها، بل والجليلة في رزانتها، و .. الخ. ف/.. أحسب الكلمات تقف على رؤوس أصابعها لأختار منها.. في حقّه.

(١) .. بل إنني إطلعت على صورة له، يرجع تاريخها إلى عام ١٣٧٨هـ، وُسْم بها اسمه ب: (المربي/ عثمان الصالح).

(٢) - بل لا غرو حين تقول (المربي)، فيُقَال: (عثمان الصالح)-

(٣) كما قال (أحمد شوقي).

.. أجل، تولى (عثمان) الذي كان للوفاء عنوان، أو كما ينظمها شعراً:

(د. إبراهيم أبو عباد):

قالوا (الوفاء) ، قلت الشيخ عثمان فهو لسليل المجد عنوان

وطُويت صفحة مشرقة وناصعة من صفحات تثبيت دعائم هذا الوطن في
(عصرنا) أو قل : هذا الذي عاصر بواكير وحدة وتنمية هذا "الوطن" وعاش - رحمه
الله - حتى رأى بلادنا تنافس على زمالة الكبار حضوراً سياسياً واقتصادياً وحضارياً.

وإني لأكتب هذا على عُجالة من أمرٍ / هو أحرى بأن ينال كلَّ التائي من
خطابي - .. لما لا، وهو أعزُّ^(١) (خطبي) ، قال أحمد شوقي :

يجل الخطب في رجل جليل وتكبر في الكبير النائبات

نعم وربّي: إنه لتكبر النائبه.. في مثله^(٢) -!

أبي / أبا ناصر :

كان أبُّ بكل ما تحمله المفردة، فلقد لقيته .. من أول ما تستى لي
حضور (إشينيته).. فكان لقاءه لي - وأنا بسن الحفيد من نسله - بتلك الوداعة
والشفافية المعروفة عنه، وأول سؤال بادرنى مُشيعاً ب (ابتسامه) - معهودةً أبداً
عنه فذكرني قوله ﷺ للأعرابي .. متواضعاً : { إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل

(١) فلا يود المرء أن يقول ما يُفهم منه الجزع، أو يؤدي بفهم الآخرين منه .. إلى ذلك! - لا قدر الله -
(٢) قال الأديب (عبدالله المزروع) - المجلة العربية.. عدد ٣٥٤ - : " وهكذا، فكما أننا نانس بوجود هذا
الطراز من الرجال في مجتمعا، فإنه يعترضنا الأسى والحزن كلما يُعيّب الموت أحدا منهم! "

القديد^(١) بمكة}، .. ولا أنساها: من أنت؟ فقلت: (عبد المحسن.. ثم أتممت:
.. ابن الشيخ علي بن محمد المطلق).

فكأن الاسم ليس غريباً عليه، - كذا بدر لي - مما بدد عندها سحب
الخجل عن سمائي- من قسّمات محياها.. التي كأنها تستحشني لأتم، فأردفت:
والدي - يرحمه الله - كان مديراً^(٢) (للمدرسة العزيزة)، ليستعيد بذهنه
أحد لدّاته^(٣)، .. وأتممت ب/ وبعدها: المشرف على (دار الأيتام)- مما آثرني عندها
بمكانة.. لا أنساها، أو هكذا أحسست-

ربما شفيعتها تلك المعلومة التي أثبتت بصماتها لديه عنّي فيّ (كما ثبت في
الراحتين الأصابع) ف لم أنسه، ولم أسله. بل .. و/ مخلفاً قلبي عند من ودّه.. عندي^(٤) ..
ولم أدع تلك الروح الجميلة والتي بها.. وافاني، وأخصّ مفردة (يا ابني)
- التي لا تُفارق فاه رحمه الله، لكل من يأمّ إثنيته أو يغشى مجلسه، بخاصة
ممن ماثل سني-

ولا أزال أذكرُ له قوله: (لا تدعنا)، التي كانت شفيعاً لي، حتى - ولا
أبالغ إن قلت- : أنها نزعَت عنّي جلاباب الحياء.. أن أدلف داره (العامرة) كل
خطرة أعلم بها عن أثره فيها، أو ضيافة خالصة من أدران دُنيانا، ..أو (وسائطها)
لديه.

.. ولعل داعي أوّل لقاء: (اثنيته)^(١) التي أدعو بنيه بعد أن أعزّهم به
- .. وكلّنا به نُعزّي - بخاصة الأخ العزيز أبو مشعل (بندر).. الذي أُلّف عنه

(١) أي: اللحم المجفّف.

(٢) .. وذلك في: عام ١٣٦٤هـ، و.. انظر كتابي (هذا أبي) ص٧٧.

(٣) لذّة المرء: من ولد معه في وقت واحد - كما جاء في: الوسيط ج٢ / ٨٢٨ -.

(٤) - (بتصرفي) كما قال المتنبّي .. لابن العميد-

إشرافه عليها، وإدارته لها، .. وذاك لتكن - مع ما خلد فينا .. له - النهر (العلمي) الجاري له بعد رحيله، لحديث: {أو علم يُنتفع به}. بل أعزم عليهم فعل هذا، .. لتستمر، فهي حسنة - بحول الله- لا تتقطع، و (عين) خير - بإذن الله - لا تتضب، و.. لو لم يأتهم منها: إلا إبقاء أخلاء والدهم وتلاميذه بسببها موصولين بذكراه، وعن طريقها يحثو الخلف والسلف من أنجاله والأحفاد .. ومن بعدهم، على خلال تركها والدهم بصمة واضحة فيهم.. وفينا، باقية في مآقينا له (رحمة الله رحمة واسعة ووالديه، وكل غالٍ عليه).

و.. غالباً: ليسوا بحاجة لمناشدتي هذه إلا تذكيراً لهم بهذا، وإلا فما الوفود - من كبار العلماء وشخصيات الدولة - التي أتت لتعزيتهم به إلا (تاج) من مقامه الياسق وضعه على هامتهم، .. قال أحمد شوقي:

أبنيه كُونُوا لِلْعِدَى^(٢) من بعده كِيداً، وكونوا للولي عِزاً
وتجلّدوا للخطب مثل ثباته أيام كان يُدافع الأرزاء

نعم:

(١) والتي بدأت عام ١٤٢١هـ بمشاركة من أمير الرياض (سلمان بن عبد العزيز) - يوم (الأثنين) مرتين كل شهر، .. وأنظر كتاب (الصالونات الأدبية)* - ص ١٣٥. وما بعدها - لأخي وصديقي الأديب: (سهم الدعجاني) - بل.. وأحسن (وفاء) المؤلف حين قدّم الكتاب (اهداءً) له، فأوجزها.. إمهارة لهذا الفقيده: (لمسة وفاء، ومساحة ود يستحقّه) من ص ٤-.

- (*) وبالمناسبة لـ (د. أحمد الخاني) كتابٌ مُماثل، بعنوان: (الصالونات) صدر- بعد كتاب الدعجاني - هذا العام/ ١٤٢٧هـ.

(٢) وهذه .. أي: (العدى) من المجاز اللفظي - لا الحقيقي -، فلا أظن أن لذلك النقي.. عدواً

صنع المجد والعز والتمكين من قلوب الناس، فكان أن كُتِبَ له الحب^(١) في النفوس، والذكر الجميل مما قد أجمع الناس عليه.. وعلى حُبِّهِ وتوقيره. قال (عمر) رضي الله عنه :

(الأمير من إن نظرت إليه وهو ليس بأمير ظننته أمير، وإذا كان أمير ونظرت إليه ظننت أنه ليس بأمير)!

.. إذ كان - يرحمه الله - :

حين يكتب بالصحافة يوقع باسمه مجرداً (عثمان بن ناصر الصالح) ... - هذا الذي أظنه حاز كل الألقاب (وهو أهل لها)-، وهكذا نهج العظماء من قبل، قال أحد الفلاسفة: (العظيم بحق: من يُشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء) فهذه إلماحات عنه لدينا، ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴾ (آل عمران ١١٤) لمن أحسبهم: مثله.

يا (آل صالح) :

و لعلي لا آتي بجديد إن قلت في تاريخه: أنه (علم) أبقى فينا ذكراً لشخصه خالداً، وصورة حملناه عنه.. وافية.. وكافية، لا أظنها تحتاج/ إلى إمهارها بفائض قول مردود ، أو نسج عن تاريخه معدود- هذا فضلاً عن من عرفه عن قرب-

(١) .. انظر ثانياً ما تقدم هامش (١) -ص ٢٨-

(ختم) :

.. أحقاً .. مضى إلى سبيله ، الكان قلبه (روضة من رياض الحب .. الصافي) .

وكم أجاد مختصراً (د. أحمد التويجري) ب :

ويا طيبة .. من ذا رأى قبل طيبةً تسيرُ على أقدامها وتهيم

ف / إلى جنة الخلد يا والدنا (الفقيد) ، بعصرنا .. إن لم أماري ب (الفريد)
بخصاله وشخصه وشخصيته ، وذاك بما أعلم به أو بجل ما قرأت عنه ولا نُزكي
على الله أحدا^(١) .

.. ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (القرة ١٥٦) .. أجل ، حكمة بالغة أمرنا
بترديدها أمام كل مصاب ، بخاصة .. رحيل أمثال هذا النادر ، والله أعلم بالقصد
.. من قبل ومن بعد ، وصلى الله وسلم على نبيه محمد .



(١) .. سوى .. { أننا شهود الله في أرضه } كما قال فينا الحبيب ﷺ . .

وكسفت.. (شمس الأدب) (*)

الناس في غفلاتهم ورحى النيّة تطحسن

نعم وربّي.. فسبحان: الدائم الباقي، الحي الذي لا يموت ، والذي ..
(كتب) على .. أن: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (٢) (آل عمران ١٨٥) والقاتل - لأعظم خلقه ﷻ - : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ (الأنبياء ٣٤) .

والله إن الإنسان ليقف أمام (وقع) الموت وقفة السادر، ف هذا الخطب الذي ليس منه مفرٌ ولا منصرف ولا حائل عنه أو مؤلاً دونه ولا يجدي في دفعه حول ولا أمناً.. فيسلم المخلوق للمولى الحكيم: تسليم مؤمن راضٍ .. صابر، فعن أنسٍ ﷺ قال : خط النبي ﷺ خطوطاً، فقال : { هذا الإنسان وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقرب } رواه البخاري.

يأتي حدث ما (جدّ) (٣) في الدنيا ليجعلك تؤجل - أو على الأقل تُتحيّ - رتبة ما كنت تمضي على منواله، .. ف يصيرُه من أولى أولوياتك، ولا غرو فإن مثل هذا يضعه تلقائياً الأول، فيحثك للتركيز عليه، إذ يصرف مدار الحديث إليه.

لغز الحياة وحيرة الأبواب أن (يستحيل الفكر محض تراب)

ل.. هذا الأديب، ومنذ وصلني خبر رحيله - رحمه الله - طراً على بالي هذا البيت الشعري لقائله الفيلسوف، فما أقرب انطباق رؤية هذا الشاعر مع حال فقيدنا.

ولقد .. فقد عصرنا وأفل عن فلقه - مطلع هذا ال (صفر) - جهبذاً وعلماً من أعلام الأدب ونجومه، بل ولا إخاله إلا (هامتهم)، لأنه شيخ صناعته في هذا العصر، ومؤرخه الكبير - بلا منازع - الأديب العزيز عطاءً وإنتاجاً .. وديباجة الدكتور:

(*) .. هي تفصيل (إيجاز) ما .. نُشر - في: الجزيرة/ الثقافية عدد (٩٩) في ١٨ صفر / ١٤٢٥هـ - .
(٢) والعجيب أن هذه الجملة وردت في ثلاث مواضع بالقرآن الكريم، سورة (آل عمران) و(الأنبياء) و(العنكبوت).
(٣) .. ولذا وسم الليل والنهار ب (الجديان).

(أحمد شوقي^(١) بن عبد السلام ضيف) - ١٣٢٨ / ١٤٢٦^(٢) -

رئيس (مجمع اللغة العربية) - الخالدين - .. وذلك عن عمر مديد ناهز ٩٥ سنة، كانت حافلة بالعطاء عظيم الأثر، .. فرحمة الله رحمة واسعة، وجزاه عن لغة (القرآن) وسبيل الذود عنها .. وما قدّم لها - (أدياً) على سبيل الأخص - ما جرى محارباً عن ثغر من ثغور الإسلام، وإماماً على منابر الهدى وعالمماً في حلقات الذكر .. و ..

وإن كان الله قسم لثلة من خلقه حب العيادة، أو الانصراف للعلم الشرعي، فإنه لا يُثرب مُطلقاً على من ابتغى بما آجاده-.. أو ما قُسم له من إحسان:-
الله والدار الآخرة، قال الإمام (مالك) - رحمه الله - لمن سأله : لماذا انشغلت بالعلم عن العيادة :- (أن الله وزّع الأرزاق، والأرزاق ليست الأموال فقط بل حتى القُدرات، فمنهم من أعطاه الله حب العيادة، ومنهم من أعطاه الله القدرة على الجهاد ويبغي الجنة في الجهاد. فأنا أبغى الجنة بنشر العلم)- والحديث يوضح هذا، قال ﷺ : { اعملوا، فكلٌ ميسرٌ لما خُلِقَ له } - فجعل القائل: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ [السجدة: ١١٣]

أي : أن الدين فيه تكامل - لا تعارض...، أو تفاضل إلا ب (التقوى)-

(١) وهو ذا اسم مركّب - لما يعتمد إليه في بعض الأقطار العربية - فيسبق الاسم الأصلي، والذي هنا: (شوقي)- بأحد أسماء النبي (محمد / أحمد..). تيمناً بهذا، أو تبركاً (وإن كان بدعاً من الفعل)!.
(٢) الموافق ١٠/٩/٢٠٠٥م - والذي ولد ببلدة (أولاد حمام) محافظة دمياط في ١٣ من يناير سنة ١٩١٠م، وتعلّم أو أخذ علومه الأولى في المعهد الديني بدمياط والزقازيق-

ثم : ف (اللسان) أشد وقعاً من السنان وخصوصاً في هذا العصر الذي نُوءَ عنه ما جاء في الأثر : (يكون للقلم شأن).

ولا شك .. استرسالاً/ أن من أعظم الرزايا التي تُصاب بها الأمة فقدُ العالم !
حتى يقول - من يثمن قدر أولئك - تشرشل^(١) : (إنني على استعداد أن أتخلى عن كافة مستعمراتنا، مقابل رجل ك " شكسبير").

فهؤلاء العلماء و.. بالأخص : الريانيون منهم، الذي أحدهم : { أشدُّ على الشيطان من ألف عابد } كما في الحديث - الذي رواه الترمذي - هم : المنارات /
قال ابن عباس رضي الله عنه : { إذا مات العالم تلم^(٢) في الإسلام، لا يسدها إلا خلفٌ منه أو مثله }، ويقول الحسن البصري رحمه الله : " موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء، ما اختلف الليل والنهار " - ونظم السيوطي هذا المعنى ب :

وموت العالم الرباني (تلمه) فقد كان له في الآفاق وقعه -

وكذا الأئمة المصلحين المخلصين، بخاصة.. أولئك من :

(بهم) حفظ الدين، .. وبه حفظوا وبهم رفعت منارات الهدى، وبه رفَعوا^(٣)

لأنه من نقص الأرض بنقص الدين والعلم فيها ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد : ٤١] قال عطاء - رحمه الله تعالى - في معنى نقصها : " هو ذهاب فقهاؤها وخيار أهلها".

ويتوافر العلماء الريانيين صلاح الدين والدنيا، ويفقدهم فسادهما، كما قال الزهري - رحمه الله تعالى - : (كان من مضي من علمائنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضاً سريعاً، فبعث العلم ثبات الدين والدنيا وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله).

(١) رئيس وزراء بريطانيا - .. التي كانت بعهد : عطاء - ، ثم .. أو.. إن عيب علينا أن نعرض قول هذا ! هذا .. لكن ما العمل إن كانوا - في هذا العصر - أكثر من يُقدّر قدر أولئك ، وإلا فهل تعلم كم

عدد العقول النيرة .. المهاجرة !؟

(٢) التلم أي : الصدع والشق - .. ومع ما تقدم في ص ٢٢٩ ، أثبت لمثله قول الشاعر :

فأصبح هذا الكون للنور فاقدا
وها نحن نبكي واحدا ثم واحدا

فقدنا على مر الزمان فراقدا
أنسنا زمانا بالأئمة بيننا

(٣) روي لعبدالله بن المبارك - رحمه الله -

وفاء .. لمن (وقي)

وأحسن بوصفهم^(١) الإمام أبو بكر الآجري - رحمه الله - بقوله :

(فما ظنكم بطريق فيه آفات كثيرة ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فقيض^(٢) الله لهم مصابيح تُضيء لهم فسلوكه على السلامة والعافية، ثم جاءت فئات من الناس لا بد لهم من السلوك فيه فسلوكه، فبينما هم كذلك انطفأت المصابيح فبقوا في الظلمة فما ظنكم به، فهكذا العلماء في الناس ..).

ثم :

((هناك نصوص معروفة حين نتحدث عن العلماء في المفهوم الإسلامي، فالله عز وجل يقول ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر ٠٢٨) ، فهم أصحاب خشية الله، وهم {ورثة الأنبياء} ، كما في حديث السنن، و { وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب} ، وثمة حديث مشهور احتج به الإمام أحمد وحسنه ابن عبد البر: {يرث هذا العلم من كل خلف عدو له، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين} ، وفي هذا الحديث ضمانات ربانية بأن يُبقي الله في كل عصر وزمان: جماعة من أهل العلم والدعوة والإيمان، يقومون بمهام الضبط وإعادة التوازن، ورسم خط الاعتدال)) حتى .. قال: ((لأنهم يعرفون تحريفات وتأويلات عصرهم!

ثم.. وهم يعاصرون واقعهم؛ ليحصل لهم هذا التأثير والتمديد، فهم الأئمة القائمون على أمر هذا الدين الذي يُرجعونه للأصل العام والمقاصد العليا، والثوابت المحكمة ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ال عمران ٠٠٧))^(٣).

(١) .. مع ما تقدم بمادة ابن عثيمين : ص ١٩٠ - فما بعدها-

(٢) أي : سخر .

(٣) كذا .. أزجي- بتصريف - : (د. سلمان العودة) - الجزيرة عدد ١٢٤٧٧ -

وفاء .. لمن (وفى)

وفي السيرة: كان أخوان أحدهما يحضر عند الرسول ﷺ والآخر يحترف
- أي يعمل - ويُنفق على أخيه، فشكاه للرسول، فقال له ﷺ: { لعلك تُرزق به }.

آل.. فليجلّ الخطب!

لأن (الأدب العربي) اليوم فقد (حَبْرًا) من حواربيه، وشيخاً من أعلامه.

بل ولا يُغمط^(١) جلّ هذا الجيل وبين أظهرهم مثله، فقد كان معطاءً ونفحاً
كبيراً وقلماً سيّلاً في خدمة لغة القرآن والذود عنها، نشرًا أو دراساتٍ في فحواها
- بخاصة أدوبها -: (شعراً ونشراً).

.. وإذا كان (أحمد حسن الزيات)^(٢) - رحمه الله - أسجى بعبائته الجانب
النثري، فقد كان فقيدينا مرصداً للجانب الشعري، بخاصة في الدراسة والعرض
والشرح والتتقيح، إذ صرف معظم جهده في هذا، فهو حقيق وجديرٌ بأن يُوصف ب:
(مؤرّخ الأدب العربي) ..

و كذا يُشيد (د. جابر عصفور) .. عنه: " إن موسوعته عن تاريخ الأدب
العربي تظل درته الفريدة من ناحية شمولها واكتمالها، فهي أشمل وأكمل تاريخ
للأدب العربي صدر إلى اليوم، وهي ثمرة صبر ودأب على امتداد عقود، ونتيجة

(١) وهذا ليس تجاوزاً، بل حقيقة!

(٢) المتوفى عام ١٣٨٦هـ، وهو (رائد البلاغة العربية) بلا منازع. ومع ما تقدم -ص ١٣٣-.. أضيف:

كان.. ملء أسماع.. وأبصار وأفتدة مُحبية، حياً وميتاً، ولم لا، فهو فارس البلاغة النثرية في

عصره، وهو صاحب مجلة (الرسالة)^(*) التي كان الناس يسهرون جراًها ويختصمون.

- (*) ولا غرو.. إذ كانت منبراً تتبارى من خلاله الأطياف الفكرية جدلاً حول قضايا محلية وإسلامية

وعربية داخل مصر وخارجها-

تراكم خبرات وتجارب وعشرات الدراسات التفصيلية، فلا عجب أن يُعدّها الكثيرون من أمثالي / أهم ما كتب شوقي ضيف، وأكثرها تمثيلاً لمنهجه التاريخي الذي أخذه عن أستاذه طه حسين .. " .

أثره :

وللأديب الكبير - مع روحه الجميلة ونفسه المعطاءة وجلال مكانته .. وصدقه وإخلاصه فيما نحسبه والله حسيبه^(١) - : مكانة كبيرة لدى شريحة كثيفة في الأقطار العربية، ويكفي .. أن تعلم أنّ ما يُباع من كُتبه - بطريقة غير قانونية^(٢) - التي تغذي كل طلاب الوطن العربي في الآداب، بما يعادل ٢٥٠ ألف مجموعة سنوياً، وما ذاك .. إلا لما علّم في كُتبه ومؤلفاته التي تجبر القارئ إلى ثني عطفه إليها - وذلك: حسب ما أعلم .. عنها-، وجلها في الأدب (شعراً ونثراً) وتاريخه وأهله ومذاهبه، بخاصة كتابه: (الفن ومذاهبه في الشعر العربي)- وهو بالمناسبة: رسالته للدكتوراه عام ١٩٤٢م- والذي : أشتقت منه الكثير، إذ كان مطلع إنغماسي بالأدب والشعر في لُجّه، ومن أثره.

.. وكذا مؤلفاته القيّمة^(٣)، والتي جازت - تقريباً^(٤) - سبعين كتاباً ..

وكان من أهمها :

- (١) .. ملحظ : النية - وهي القصد في فعل الشيء - مكانها القلب أي / لا يعلم بها إلا الله. ولهذا دائماً ما يقال في سياق تركية.. أحد على عمل ظاهري (حسن).. بدر منه، ب : (نحسبه كذلك والله حسيبه) أي : على ما نوى بما فعل.
- (٢) فيما يكتفي الناشر الأصلي وهو (دار المعارف) المصرية منها بتوزيع خمسة آلاف نسخة فقط.
- (٣) (القيمة) أي : التي بها : أخبار صادقة وأوامر عادلة تهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.
- (٤) فيما فاضت.. مجموعة مؤلفاته أكثر من (مائة).

وفاء .. لمن (وفى)

(الوجيز في تفسير القرآن الكريم) و (علمية الإسلام)، و (الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة)، و (محمد خاتم المرسلين)، و (موسوعته الكبرى) في تاريخ الأدب العربي - حيث أنجز موسوعتين عن الأدب العربي في " عشرة " أجزاء - ..

وأيضاً تلك التي تفرّعت من التالي : (الدراسات والقرآن)، وفي (تاريخ الأدب العربي)، و (الدراسات النقدية)، و (مكتبة الدراسات الأدبية)، و(الدراسات البلاغية واللغوية) ، وأيضاً (مجموعة نوابع الفكر العربي)، و (مجموعة فنون الأدب العربي) و (التراث المحقق) - وكذا المشاركة في (سلسلة اقرأ) -

أيضاً : مع العشرات من المؤلفات الأخرى .. في النحو والأدب والبلاغة والنقد، وخصوصاً: تفسير (القرآن الكريم) .. و « الذي له فيه كتابان رئيسيان :

الأول في تفسير سورة الرحمن ، وسورٌ قصار، و فيه يتناول إلى جانب سورة الرحمن، ثماني سور قصار هي : الفاتحة والإخلاص والعصر والملك والأعلى والتكوير والماعون والفلق .

وقد كان يجري في تفسيره على طريقة وسنن ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية ، ثم من تلاهما من المفسرين المحدثين الأعلام كالإمام محمد عبده والشيخ محمد عبدالله دراز - رحمهم الله جميعاً - .

.. كما بيّن في تفسيره: مبادئ العقيدة الإسلامية، وآلاء الله تعالى على خلقه، ودعوته الإنسان بقدرته العقلية في تأمل أسرار الكون وقوانين الاهتداء إلى خالقه^(١) .

(١) .. وعلق الأديب (عبدالله الحقيقل) : إن مؤلفاته تتميز بقدرته على صهر البعد المعرفي بالبعد التربوي.

الثاني : تفسيره الرائع " الوجيز" في التفسير: وهو كتاب أكثر طموحاً من سابقه، إذ هو تفسير كامل لكتاب الله، توخى فيه الإيجاز مع الانتفاع بأهم التفاسير السابقة مثل كُتب : الطبري والزمخشري والفخر الرازي، والقرطبي، والبيضاوي وابن كثير، ومن المحدثين محمد عبيد ومحمد الطاهر بن عاشور^(١).

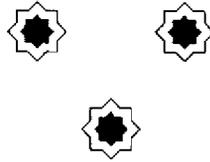
وأفيض.. أو أقول (هنا):

ما كان لمن أبحر باللغة وبديعها وأمضى في الأدب وجماله .. جلّ وقته، ورزق في هذا عطاء غير منقوص إلا ما شاء الله.. إن لا يكون له إسهام (ولو .. ما يقدم به بين يدي مولاه عذره).. أي القليل، فما بالك بمن أوجز القرآن كله، ثم خصّ بعض السور بتفسير قل ما يقال عنه أنه / يُجدي .. وإن كان لا يكفي!

وكذا / في الحضارة الإسلامية، والشعر العربي ومذاهب فكرية عديدة، مع تراجم للبارودي وشوقي وطه حسين، كما .. وكتب سيرته الذاتية .

حتى يقول عضو مجمع الخالدين : (محمود علي) - والذي أنهى به قول كل خطيب - : (لم يدع فرعاً من فروع الثقافة إلا وكانت له فيه مشاركة جليلة حتى كأنه لم يتخصص إلا فيه).

ولا غرو.. أن يكون - بعدها-: عَلم من أعلام الثقافة والفكر، ومن أجلّ المبرزين في هذا العصر.



(١) الأديب : صلاح مرشد (المجلة العربية).. عدد ٢٢٨ - بتصرف.

شواهد (له) :

أي .. لهذا (سادن الفصحى) .. والعلامة الموسوعي، والعصامي الدؤوب وذا العطاء الأصيل المتنوع، والذي بلغ فيه ذروة عالية متفردة .. أخال أنه لا يُشاركه فيها أحداً .

كتب (تلميذه) الوفي " د. حيدر الغدير " مادة^(١) مثمرة، بل ذات قُطوف دانية، أغراني نضجها لأقطف منها.. التالي.

فأول ما يُعرّفنا به : من خلال والده : (ذاك الرجل الطيب، الذي تخرّج من المعهد الأزهري في دمياط، وعاد إلى قريته يعلم الناس ويسعى في مصالحهم، وأخذ ذلك عن المعهد نفسه الذي درسه حقائق ديننا العظيم، فكان تأصيله الشرعي متيناً، وأخذ - أي فقيدنا - ذلك عن حفظه للقرآن الكريم الذي ظل وثيق الصلة به طيلة حياته، يضاف إلى ذلك قراءته المستفيضة عن الإسلام التي كانت ركناً ركيناً في حياته).

وكانت له قواعده لأنه حافظٌ للقرآن الكريم، عليم بأسرار البيان العربي، غائص على درره ونفائسه، (إن شخصيته الواضحة تجعل بيانه واضحاً، إذ كان يكره التكلف والتشدد وينأى عن المصطلحات الغامضة، والرموز الغريبة، والعبارات الفضفاضة، التي يلجأ إليها بعض الكتاب ليستروا بزيها العقائد، وليوهموا السذج من القراء أن لديهم من التميز والإبداع والتجديد أكثر

(١) - الجزيرة الثقافية / عدد ١٠٣ - :

أولئك يُدَثِّروا جهلهم " غالباً " بإلقاء بعض المصطلحات التي تُوهم المتلقي أو تهيم به عن التمعّن فيما يقول - لإرهاق سمعهم: لمن يهرف بما لا يعرف!-

ثم يدلي علينا - بعد إزجاء عن مراحل الأولى في تلقيه العلم - ، حين:

(التحاقه بالمعهد الديني في دمياط الذي تخرج منه عام ١٩٢٦ ، ثم التحاقه بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة فؤاد الأول - جامعة القاهرة فيما بعد ، الذي تخرج منه عام ١٩٣٦م وكان أول دفعته ، فاختاره الدكتور طه حسين معيداً ، وهنا تدرج حتى ظفر بالماجستير فالدكتوراه فالأستاذية ، ثم صار عضواً في مجمع اللغة العربية ، فأميناً عاماً له ، فنائباً للرئيس فرئيساً) .

وذلك بخطاه (القافزة) :

(من الثقافة الحديثة التي تلقاها في الجامعة ، فحقق بذلك أفقاً واسعاً ، وتنوعاً وخصوبة ، أعانه في ذلك جدّه ، واتفقانه واعتدال مزاجه الفكري والنفسي) .

ثم عن (مادته) : (وتتسم كتاباته بالعمق والإحاطة التي تدل على ذاكرة قوية وقراءة واسعة ، وتصرّغ تام^(١) ، واستقصاء عميق ، وقدرة كبيرة على حشد الأدلة بين يدي الأحكام التي ينتهي إليها - .. حتى يقول : : لذلك تظل تحترمه ، سواء أوافقته في الرأي أم خالفته) .

(١) أجل فإنه قمين بمن رام أمر عظيم أن يقدم له ما يوازيه.. ولو بلغ هذا : (العمر) كله.
فهذا الإمام البخاري -رحمه الله- أمضى ٢٥ سنة - من عمره- في جمع (صحيحه) المعروف بأصح الكتب بعد القرآن الكريم.

وعن وفائه لأحد أساتذته حين اختلف معه فلم يداهن برأيه، أو ما يراه صواباً، وهنا يعطي تنبيهاً لطالب العلم، إن كان هناك خلاف بين الأستاذ والتلميذ: أن تبيّن (الصواب) الذي تراه والحق الذي تنشده، دون مداهنة، ولكن بشرطي: (الأدب معه، والتقدير لشخصه).

ولعل أبرز مثل لهذا هو (موقفه من " د. طه حسين " - الذي اختاره مُعيداً، ومنحه درجة الدكتوراه بتفوق-، لقد حفظ له الجميل، ولكنه خالفه في أدب وصراحة في قضية الانتحال في الشعر الجاهلي).

.. وختم بأكبر شهادة: (لو أن عُصبة من أولي العزم والقوة استطاعت أن تُجز ما أنجزه الفقيه الكبير لكانت جديرة بالثناء والإعجاب، فما حقه علينا وقد أنجزه وحده).

- وأقول تعقيباً: لا عجب .. ممن قضى عمره في العلم وتحصيله وأوقف همته في محرابه، أن تبلغ به ذاته: ربوة ذلك -

فلا غرو .. وقد حصر في عمره - المبارك - جلُّ إن لم أقل كل .. هذا المنحى، ما ساد به وما سدَّ باباً نحمد له ذلك ونقدّر له جهده الكبير فيه.

.. فيما هناك من أسدى عنه ما لا أستطيع إيراده في هذه (المادة) الموجزه، .. والتي لا يعدو غالبها عن أن يكون: تأييداً (سريعاً) - من أحد تلاميذه^(١) - وليس فيها نقدٌ، أو استقراء فيما ترك، إذ ليس في معين قلبي ما يوازي !

(١) وأنا .. أشهد الله على أن جلّ تحصيلي (التدوُّقي) للأدب والشعر.. كان على يدي مؤلفاته، إذ لم يسبق لي - وهذا من سوء حظي - لقياء، أو الدراسة بين يديه.

فما أحسب (هذا) ^(١) إلا ك : فرصة (تالية^(٢)) أعرض بها .. شيئاً مما أضمر في القول عنه، وعن تلك الجمهرة.. التي تعلّمت على يديه، أو على يدي كتبه.
 إذا.. هكذا عاش هذا العلامة - رحمه الله - عاشقاً للغة (الضاد)، ذائداً عنها كل دخيل وعامي، بانياً صرحاً باسماً لتراثنا وحضارتنا الزاهية عبر مؤلفاته الأصلية وريادته البارزة في فنون اللغة والنقد والأدب والفكر الإسلامي - بمفهومه الواسع-

.. ف ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة ١٥٦) ، نقولها تعزياً.. وسلوى ومواساة.. لنا فيه، ولكل من فقده، بخاصة أهله وذويه أن :

(جبر) الله مصابهم ورحم فقيدهم ، وألهمنا وإياهم الصبر والسلوان:

لَا بَدَّ مَنْ فَقِدٍ وَمَنْ فَاقِدٍ هِيَهَاتَ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَالِدٍ

شخصه :

أو.. هذا صاحب القامة د. شوقي ضيف (رئيس مجمع اللغة العربية) - الخالدين - بالقاهرة^(٣) : والذي أزجى عن ذلك المجمع (د. عبدالله الطيب) رحمه الله بفريدة من فرائده، - وذلك.. عندما أختير الفقيه لرئاسته-:

أهدي قوافي من شعري بتهنئة لـ (شوقي ضيف) بإجلال وتوقير
 بل حق مجمعنا أني أهنته به رئيساً..، وقلبي جد محبور

(١) ... أي : إعادة هذا التأين له، بهذا (الكتاب)..

(٢) وها أنا : أعيد - مجمل (المادة) - لكن بتوسّع.. /مع تريتّ صاحبها، كيما أثرى عنه (ولو) بشيء من حقه.. علينا، ومن باب نشر إحسانه، كما أمر المولى : « من خزانة الإخس إلى الإخس »

(٣) .. وتحديدًا / شارع عزيز أباطة.

وفاء .. لمن (وفى)

قُدْ مجمعُ العُربِ استاذاً بلا شبه من العِظامِ أولي الفضل المشاهير
مُشاركاً في علوم الضاد أجمعها درساً دقيقاً بتوثيق وتيسير
و.. أصادق على ما جاء في البيت (الثاني) ^(١) أن الجوائز التي نالها: شرفها
أكثر مما شرفته وزانها أكثر مما.. زانته.

كما .. وخصمت (دائرة معارف الأدب العرب) - الصادرة في لندن
ونيويورك - ترجمة ذاتية ضافية وجامعة عنه، ومما ذُكرت : (أن الدكتور
شوقي ضيف أحد الشخصيات المؤثرة بشكل واضح في الدراسات العربية
المعاصرة)..

و.. بصمته الواضحة في تحقيق أمهات الكتب والأسفار الثقافية والأدبية،
ولكونه واحداً من الأعلام الكبار في العالم العربي والإسلامي الذين أسسوا
مدرسة فكرية وأدبية ونقدية تمتد جغرافياً من إندونيسيا إلى المغرب، ومن شمال
أوروبا إلى أعالي قلب إفريقيا، .. لكل هذا فقد استحق بحق لقب " أستاذ "
الأجيال عن جدارة واستحقاق.

تأثيره:

.. وله من التلاميذ والمريدين ^(٢) الذين تتلمذوا على كتبه وآرائه، ما لا
يحصى كثرة.

(١) وأذكر من التراث : حينما هُنئت الوزارة بـ (عبد الملك بن وهب) - إذ.. حظيت بمثله - .. لا العكس
- حتى لما دخل نابليون الصالون قعد في أوله، فقيل له : ألا تذهب لتقعد في صدر المجلس، قال :

المكان الذي أجلس فيه .. هو صدر المجلس، أجل / واثق الخطوة يمشي ملكاً.

(٢) المريد - عند (الصوفية) - هو الذي يكون عند معلّمه كالميت بين يدي مفسّله، لكنها هنا
تُستخدم للمبالغة.. في التلقّي.

وهو - مع هذا - النحوي الضليع ، الذي بسط النحو العربي وذلّل صعوباته في عالم اليوم ، وأظهر الفصحى لغة حية مورقة فتيّة.. قادرة على استيعاب علوم العصر. حتى .. أن (باحثة) إيرانية .. نالت درجة الدكتوراه عن رسالتها " نظريات شوقي ضيف النقدية في النحو والبلاغة " بامتياز من كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، في (الجامعة الحرة الإسلامية) بطهران.

تقديره :

نال جائزة مصر التقديرية في الآداب عام ١٩٧٩م ، وجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٣م وجائزة مبارك للآداب بمصر عام ٢٠٠٤م.

- .. وأحسن الدكتور (سعد ظلام) حين حيّاه على ما استحق ونال :

من سواه أحق بالتكريم؟ من أديبٍ ، وناقِدٍ وعَلِيمٍ
كرم الحرف في منابته الشم فأرسى قواعِد التكرم
إيه (شوقي) ونحن (ضيفك) دوماً في سلاف من اللباب الصميم
أنت ما أنت؟ نهضة.. وانطلاق وإضافات سائغات الطعموم

و.. بالإضافة - إلى ما تقدم - رئاسته لـ (مجمع اللغة العربية^(١)) ، الذي حوى جلة: من علماء متخضرمين بجميع فروع اللغة العربية وجميع الأقطار العربية ممثلة فيه ، وله مؤتمر سنوي يحضره أشهر علماء اللغة والمهتمون بها - فالمجمع/ يرفع علوم اللغة العربية وآدابها-

= والأبلغ ، في قول (الشعبي) - ت ١٥٣هـ- رحمه الله : (جالسوا العلماء فإنكم إن أحسنتم حمدوكم وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم).

(١) ولد (المجمع) الحق علينا سلفاً ، فكان .. نثري هنا عن المناسبة/ رحيل (ربانه) موافقاً للأثر : (سقيتم بدعاء غيركم).

وفاء .. لمن (وفى)

- .. الذي قال فيه (د. عبدالله الحقييل) :

مجمع (الخالدين) مني سلام
موئل (الضاد) ^(١) قد أضاءت سراجاً
قلعة الفكر والبلاغة مهداً
شدت للضاد منبراً ومكاناً
نخبة ها هنا تروم علواً
خدموا الضاد والمعارف طراً
.. أنت فخر ومجمع لرجال
دُمت ذخراً وقوّة ومقاماً
وأشعت البيان نوراً تماماً
قد رعت العلوم والإفهاما
وصروحاً تبدد الأوهام
واهتماماً وغيرة واعتزاماً
وأناروا البيان والأعلاما
رفعوا الضاد عزة وسناما

وكذا مزج بينهما : (حسن القرشي) رحمه الله :

هل تَلَفْت يسرة ويميناً
وتراءت عيناك ترقب "شوقي"
مرحباً يا منارة الأدب العا
وترائيت موكب (الخالدينا) ؟
يعتلي نروة الفخار مكينا
لي ومن ^(٢) عاش شامخاً لن يلينا

- نعم .. وربّي، فقد عاش.. ومات (شامخاً) -

وهو مع كل ما تقدّم: (رئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية)، و(أستاذ
الأدب والنقد) بكلية الآداب جامعة القاهرة، و (الناقد المبرز) و (الحجة في اللغة)

(١) كناية عن (اللغة العربية) - إذ هي اللغة الوحيدة، التي فيها حرف (الضاد) - كما هو معلوم -.

(٢) أي (الفقيد) : شوقي ضيف .

وعلمها، وصاحب (المؤلفات البارزة) في فنون الشعر والنقد والبلاغة والتفسير
والفلسفة والحضارة الإسلامية... الخ .

.. فهل بعدها (الحمد) في مثله، أو عليه كثير!

لا أظن، بل إنني لأحسب الكثير في صنو فقيدنا .. قليل، فكيف له .. هو !

وصلى الله وسلّم على إمام العلماء، ، ،

